مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب

د. عبد الله الخطيب
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

تاريخ الاستلام : ٢٠٠٨/٠٥/١١   تاريخ القبول : ٢٠٠٨/١٠/٠٦

الخلاصة

يتناول هذا البحث بيان مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب، إذ إن أهم محاور هذه السورة يدور حول تشريف النبي ﷺ وتنزيهه مع آل بيته الأطهار وأزواجه، وبيان كثير من خصائصه الشريفة.

ويقع هذا البحث في مقدمة وقسمين رئيسين هما: القسم الأول: مكانة النبي ﷺ ومنزلته في سورة الأحزاب، ويتضمن هذا القسم خمسة مباحث. والقسم الثاني: خصائص النبي ﷺ في سورة الأحزاب، ويتضمن هذا القسم ستة مباحث، ثم تأتي الخاتمة. وهدفه هو تأكيد مكانة النبي ﷺ عند الله تعالى، والملائكة، والمؤمنين إنساً وجنا، وبيان خصائصه الشريفة خصوصا في هذا الزمان الذي كثر فيه التعرض للنبي ﷺ بالافتراءات والأكاذيب التي ينشرها المغرضون من أعداء الإسلام كتلك الرسوم الساخرة التي نشرت في أوروبا بقصد تشويه صورة هذا النبي الكريم ﷺ، مما اقتضى بيان مكانته ﷺ وخصائصه.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، يتناول هذا البحث الكلام عن مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب؛ إذ إن أحد المحاور الرئيسة لهذه السورة هو النبي ﷺ وبيان مكانته.

وقد اخترت الكتابة عن النبي ﷺ لتأكيد مكانته عند الله تعالى خصوصاً في هذا الزمان الذي يتعرض فيه نبينا محمد ﷺ لأشد أنواع الافتراءات المغرضة التي نبأنا الله عنها في قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] ، ولما كان موضوع النبي في القرآن واسعًا جدًا فقد اقتصرت على ما ورد في سورة الأحزاب مما له علاقة

مباشرة بالرسول ﷺ، ومعلوم أن هذه السورة قد بينت مكانة النبي ﷺ عند الله وعند الملائكة وعند المؤمنين من الإنس والجن، وبينت حرمة إيذائه ووجوب طاعته. وبما أن مقام النبي ﷺ عظيم عند الله تعالى فقد اختصه الله تعالى بأمور عديدة ذكر البحث منها الذي نصت عليه سورة الأحزاب، وقد ذكر العلماء وخصوصا أهل السير أن معرفة خصائص النبي ﷺ ضرورية لمعرفة ما خصه الله به من أحكام(١)، ولمعرفة مكانته عند الله تعالى وفضله على غيره من الأنبياء.

وقد قسمت بحثي هذا إلى تمهيد وقسمين على النحو الآتي:
تمهيد بين يدي السورة

القسم الأول: مكانة النبي ﷺ ومنزلته في سورة الأحزاب
وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أوصاف النبي ﷺ في سورة الأحزاب.
المبحث الثاني: ولاية النبي ﷺ العامة على المؤمنين.
المبحث الثالث: وجوب اتباع أوامر النبي ﷺ والنهي عن عصيانه.
المبحث الرابع: دلالة قصة زيد مع زينب رضي الله عنهما على مكانة النبي ﷺ.
المبحث الخامس: دلالة أخذ الميثاق من النبيين على مكانة النبي ﷺ.

القسم الثاني: خصائص النبي ﷺ في سورة الأحزاب
وفيه تمهيد وستة مباحث:

تمهيد في بيان المراد بالخصائص وأشهر ما ألف فيها.
المبحث الأول: كون النبي ﷺ أسوة حسنة في كل شيء.

المبحث الثاني: النبي ﷺ مع زوجاته.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: تخيير النبي ﷺ لزوجاته ودلالة ذلك على مكانته.
المطلب الثاني: بيان فضل نساء النبي ﷺ على سائر نساء العالمين.
المطلب الثالث: فضل آل بيته الكرام تكريما للنبي ﷺ.

المبحث الثالث: خصائص النبي ﷺ في أحكام الزواج.
المبحث الرابع: آداب دخول بيت النبي وأمر أمهات المؤمنين بالحجاب.
المبحث الخامس: تمييز النبي ﷺ بالصلاة عليه وأمر المؤمنين بذلك.
المبحث السادس: اقتران أذية الله تعالى بأذية الرسول ﷺ.
ثم الخاتمة.

تمهيد : بين يدي السورة :

١ - اسم السورة: اسمها التوقيفي هو سورة الأحزاب، ولا يعرف لها اسم آخر غير هذا، وقد ورد هذا الاسم في حديث لأبي بن كعب رضي الله عنه(٢).

وجه تسميتها بذلك هو ما ذكر فيها عن أحزاب المشركين من قريش وغطفان وبعض العرب ويهود بني قريظة الذين اجتمعوا وتحزبوا لغزو المسلمين في المدينة فرد الله تعالى كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٢ - محور السورة: المحور هو: الأمر الجامع الذي يجمع موضوعات السورة وجزئياتها في نسق واحد. وقد يكون للسورة أكثر من محور.

٢-١ المحور الأول: يدور المحور الرئيس الأول للسورة حول النبي ﷺ وتشريفه وتنزيهه مع آل بيته والمؤمنين معه، قال ابن عاشور: « افتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ »(٤). وقال الطبرسي: « لما صدر سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ وقرر في أثناء السورة ذكر تعظيمه؛ ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه »(٥). وهذا المحور هو ما سيركز عليه هذا البحث.

٢-٢ المحور الثاني: يدور حول : ربط الأحداث والتنظيمات بالأصل الكبير، وهو أصل العقيدة في الله والاستسلام لقدره، ولن أتطرق لهذا المحور كي لا يطول البحث وتتداخل موضوعاته.

٢-٣ المحور الثالث: الحديث عن غزوة الأحزاب التي سميت السورة بها، والحديث عن نعمة الله على النبي ﷺ وأصحابه الكرام بالنصر المؤزر على قوى الباطل في هذه الغزوة.

٣ – المناسبة بين اسم السورة ومحورها: لما كان محور السورة يدور حول تشريف النبي ﷺ وبيان قدره، فقصة الأحزاب فيها أبلغ تشريف وتأييد لهذا النبي الكريم حيث أيده الله فيها بالمعجزات وخصه فيها بالنصر المؤزر وبجنود لم يرها الناس وهم الملائكة الكرام، وأيده بالريح، فصدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب من قريش وغطفان، واليهود الذين أتوا مع الأحزاب واليهود الذين نقضوا العهد في المدينة، والمنافقين. قال المهايمي: « سميت بها - أي بسورة الأحزاب - لأن قصتها معجزة لرسول الله ﷺ متضمنة لنصره بالريح والملائكة بحيث كفى الله المؤمنين المشركين والمنافقين واليهود وهذا من أعظم مقاصد القرآن »(٦).

وقد وضعت هذه الغزوة حدًا للكفار ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥] ؛ ولذلك كانت غزوة الأحزاب حدًا فاصلاً بين مرحلتين، فأعلن النبي ﷺ أنه لن يأتي أحد بعد هذه الغزوة ليغزو المسلمين بل هم سيقومون بغزو أعدائهم. وكذلك كشفت هذه الغزوة العصيبة التي امتحن الله تعالى فيها المسلمين امتحانا عسيرا -عن حقيقة معدن النبي ﷺ الذي كان همه نصرة الدين والإشفاق التام والمحبة الشديدة لأصحابه الكرام من خلال اشتراكه معهم في حفر الخندق، ومن خلال دعوته لهم إلى الطعام الذي أعده جابر، وغير ذلك من أمور تجلت في هذه الغزوة(٧).

القسم الأول : **مكانة النبي ﷺ ومنزلته في سورة الأحزاب**

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : **أوصاف النبي ﷺ في سورة الأحزاب**

تعددُ أوصاف النبي ﷺ في سورة الأحزاب متناسبٌ مع مكانته السامية عند الله تعالى، وتعدد الأسماء والأوصاف عند العرب ينبئ عن عظمة الموصوف وأهميته، وهذا متحقق مع سيد الخلق محمد ﷺ الذي له أسماء كثيرة وسمات جليلة ورد ذكرها في الكتاب والسنة والكتب المتقدمة فقد سماه الله في كتابه: محمدا وأحمد، وعن جبير ابن مطعم أنه سمع النبي ﷺ يقول: « لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب »(٨)، وعن الزهري: إن الله قد سماه رؤوفا رحيما(٩)، وعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فيقول: « أنا محمد وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة والملحمة »(١٠).

وقد جمع العلماء أسماء النبي ﷺ فبلغت عند القاضي أبي بكر بن العربي سبعة وستين اسما. وأقتصر هنا على ذكر الأوصاف التي وصفه الله تعالى بها في سورة الأحزاب مما يدل على علو منزلته عند الله تعالى، وأذكرها مرتبة حسب ورودها متسلسلة في السورة، وهذه الأوصاف هي:

١-١ النبي والرسول: ذكر العلماء أقاويل عديدة في التفريق بين النبي والرسول(١١)، ومن أرجح هذه الأقاويل: أن النبي إنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما أوحي إليه وكذا الرسول، إلا أن الرسول يختص بشريعة وكتاب فيكون أخص من النبي(١٢)، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

وأول ما تفتتح به سورة الأحزاب هو مناداة النبي ﷺ بأجمل نداء وألطفه، ويشرفه الله سبحانه ويعلي من شأنه بأن يخاطبه بوصف النبوة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ، وهذا

هو أسلوب القرآن الكريم إذا أراد أن يخاطب النبي يشرفه بذكر النبوة أو الرسالة دون ذكر اسمه تنويها بفضله كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١] ، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧] ، وبما أن أحد أهم محاور السورة هو تشريف النبي ﷺ فقد ذكرت السورة أوصافه بالنبي خمس عشرة مرة، وبالرسول أربع عشرة مرة، وبخاتم النبيين مرة واحدة، وكذلك شاهد ومبشر ونذير وداع إلى الله وسراج منير⁽¹³⁾ وبالحياء والصدق.

ولم يناد الله تعالى النبي باسمه كما نادى الآخرين بيا آدم ويا موسى ويا عيسى ويا داود تعظيما له، وأما عندما ذكر اسمه فإنما ذكره في معرض الإخبار كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به⁽¹⁴⁾.

ومما يدل على أهمية المنادى كما يقول الفخر الرازي هو أسلوب النداء بـ (يا أي) دون يا، فقولك: يا رجل، غير قولك: يا أيها الرجل، إذ الثاني ينبئ عن أهمية المنادى له، لأن المنادي بـ (يا أيها) جعل المنادى غير معلوم أولاً فيكون كل سامع متطلعاً إلى المنادى، ثم عند إقبال السامعين يخصص المقصود فيقول: الرجل، أما إذا قال: يا زيد أو يا رجل فلا يلتفت إلى جانب المنادى إلا المذكور⁽¹⁵⁾.

ويجمع الله تعالى بين وصفه بالرسالة والنبوة في قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، تشريفاً له وتعظيما، ولأن الرسالة في بني آدم أعظم شرفاً من النبوة⁽¹⁶⁾، كما جمع الله الوصفين في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

١-٢ خاتم النبيين⁽¹⁷⁾: وصف الله تعالى النبي ﷺ بهذه الصفة في قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وبما أن أحد محاور السورة الرئيسة بيان عظمة الرسول ﷺ، فقد بين الله تعالى في وصفه بخاتم النبيين حقيقة مقامه بأنه سيد الأنبياء، فشريعته أكمل الشرائع، لأنه لا وحي ينزل بعدها، ورسالته رسالة عالمية.

وعلاقة ذكر ختم النبوة بما قبلها الإشارة إلى المخاطبين بأن لا ينشغلوا بما كان يعتقد خطأ أن زواجه من زينب كان زواجا بزوجة الابن أو الانشغال بقضية بنوة زيد، بل المهم هو العلم بأن مقامه ﷺ أعلى من ذلك فهو خاتم النبيين، وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، فقد ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة⁽¹⁸⁾، ولعل وصفه بخاتم النبيين يستشف منه أنه إضافة إلى كونه آخر الأنبياء فهو زينتهم كذلك كما يكون الخاتم في اليد زينة.

وختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ الدال على العلم الإلهي المحيط بكل شيء إشارة إلى الحكمة في كونه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين(١٩)، وقد صح عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: « إن مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ له وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هذه اللبنَة قال فَأَنَا اللبِنَة وأنا خَاتِمُ النبيينَ »(٢٠)، وقال النبي ﷺ: « فُضلتُ على النبيين بستٍ » قيل: ما هن أيْ رسولَ الله؟ قال: « أُعطيتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلتْ ليَ الغنائمُ، وجُعلتْ ليَ الأرضُ طَهُورا ومَسجدا، وأُرسلتُ إلى الخلق كافةً، وخُتم بيَ النبيونَ »(٢١)، قال الرماني: ختم به عليه الصلاة والسلام الاستصلاح فمن لم يصلح به فميئوس من صلاحه(٢٢).

١ - ٣ النبي الصادق: الصدق صفة أساسية من صفات الرسل والأنبياء عليهم السلام وقد تحققت فيهم جميعا، فقد قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم: ٤١] ، وذكر الوصف ذاته عن النبي إدريس عليه السلام في سورة مريم، الآية:٥٦، وقال تعالى في وصف إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤]، وفي سورة الأحزاب أخبر الله تعالى عما هو صفة لنبينا فقال تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فوصفُ الله تعالى لنبيهِ بالصدق دلالة على تمكن صفة الصدق فيه، ونلاحظ أن صفة الصدق تكررت في هذه السورة للدلالة على أهمية هذه الصفة، فوصف الله تعالى الأنبياء بالصدق فقال: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٨] ، ووصف الذين يوفون بعهودهم بالصادقين فقال: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

ثم عدد أهم صفات المؤمنين فجعل صفة الصدق من أهمها فقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، فالصدق هو أهم صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام؛ لأن عليه يدور التبليغ عن الله تعالى، ولهذا حث الله نبيه على الالتزام بالصدق فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال أيضا: ﴿... قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ... فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يونس: ١٥ - ١٧] فقد صدق ﷺ في تبليغ الوحي حتى إنه بلغ ما له وما عليه من قضايا الوحي، ولو كان -حاشاه- كاذبا لكتم الآيات التي تلومه في إخفاء بعض القضايا المتعلقة بزواجه من زينب.

١ - ٤ النبي وخشية الله: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩]، فقد وصف الله رسله بأنهم يخشونه ويخافونه ولا يخشون أحدا غيره وكانت هذه الصفة متجذرة في الرسول، فقد امتثل

النبي أوامر الله تعالى وطبق القرآن تطبيقا عمليا حتى وصفت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أخلاقه ﷺ بقولها: « كان خلقه القرآن »(٢٣) ، فهو ﷺ قد طبق ما أمر به تطبيقا قوليا وفعليا من خلال حياته مع أزواجه، ومع المجتمع الذي يعيش فيه، وسيرتُه العامة والخاصة التي تقصها علينا سورة الأحزاب خيرُ شاهد على ذلك، وهو الذي قال: « والله إني لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتقِي »(٢٤).

وأما أمر النبي بالتقوى في بداية السورة وهو متق لله فعلا فإنما هو أمر له بالثبات والدوام عليه وذلك لأن التقوى باب لايبلغ آخره(٢٥)، وكذلك هو تنبيه لأتباعه من المؤمنين بأنه إذا كان النبي مأمورا بالتقوى فهم مأمورون به من باب أولى(٢٦)، « وتقوى الله والشعور برقابته واستشعار جلاله هي القاعدة الأولى، وهي الحارس القائم في أعماق الضمير على التشريع والتنفيذ »(٢٧)، وهي التي يناط بها كل تكليف في الإسلام وكل توجيه، ومما يدل على ذلك هو قوله تعالى مخاطبا أمة النبي ﷺ في ختام الآية الثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢](٢٨) .

١-٥ النبي ﷺ شاهد ومبشر ونذير وداعٍ إلى الله بإذنه وسراج منير: جمع الله تعالى هذه الصفات الخمس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا (٤٦)﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦]، وهي متناسبة مع محور السورة في بيان فضله ومكانته ﷺ .

١-٥-١ النبي الشاهد: بدأت الآية بذكر صفة الشهادة على الأمة بإبلاغهم الرسالة، فيوم القيامة يكون النبي ﷺشاهدا على أمته بالتبليغ إليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم إليهم(٢٩)، كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

١-٥-٢ النبي المبشر: إن النبي ﷺ مبشر للمؤمنين بالفلاح في الدنيا وبالجنة في الآخرة كما أوضح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (٤٥)﴾ [الأحزاب: ٤٥] ، ثم أعقبها الله تعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا (٤٧)﴾ [الأحزاب: ٤٧] ، فقد بشر النبي ﷺ أهل الإيمان بأن لهم من الله ثوابا كبيرا مضاعفا وهو روضات الجنات، قال ابن عطية: « قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى، لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ (٢٢)﴾ [الشورى: ٢٢]، فالآية التي في سورة الأحزاب خبر، والتي في الشورى تفسير لها »(٣٠). وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا (٤٦)﴾ [الأحزاب: ٤٥–٤٦]، دعا رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذا فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا

ولا تعسرا فإنه قد أنزل علي الليلة آية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾، قال: شاهدا على أمتك، ومبشرا بالجنة، ونذيرا من النار، وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله(٣١).

١-٥-٣ النبي النذير: إن النبي نذير من عذابي الدنيا والآخرة، وهو نذير من النار أن يدخلها الناس فيعذبوا بها إن هم كذبوه وخالفوا ما جاءهم به من عند الله، ولم يرد في هذه الآية لفظ النذير على مجرى كلمة مبشر فلم يقل: مبشرا ومنذرا بل قال: (نَذِيراً) على صيغة فعيل التي للمبالغة وذلك « لعموم الإنذار وخصوص التبشير ... وقدم التبشير لشرف المبشرين، ولأنه المقصود الأصلي إذ هو ﷺ رحمة للعالمين، وكأنه لهذا جبر ما فاته من المبالغة بقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٧]»(٣٢) ، ويحتمل أن تكون (نَذِيراً) صفة مشبهة للدلالة على ديمومة صفة الإنذار في الرسول.

١-٥-٤ النبي الداعية: فقد دعا النبي ﷺ إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمر الله له بذلك، قال ابن عباس في معنى (دَاعِياً إِلَى اللهِ) هو: « شهادة أن لا إله إلا الله »(٣٣) .

فهو ﷺ قد دعا للإسلام الذي أهم أركانه شهادة التوحيد ففتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا(٣٤)، وقد دعا النبي ﷺ إلى الله بإذنه وتوفيقه لأنها أمر عظيم لا تتيسر إلا لمن وفقه الله لذلك، وقد دعا النبي الأمة للالتزام بالتوحيد والاستقامة على منهج الله فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت: ٦] .

١-٥-٥ النبي سراج منير: ما أجمل تشبيه الآية للنبي بالسراج المنير لأنه يستضيء به الضالون في ظلمات الجهل والغواية، ويقتبس من نوره أنوار المهتدين إلى مناهج الرشد والهداية، فالله نور السموات والأرض أنزل الكتاب الذي سماه نورا على نبيه الذي سماه سراجا منيرا فكانت الأنوار تتلألأ في الوحي من كل جهة، وقد كان النبي ﷺ فعلا السراج المنير فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: « ما رأيتُ شَيْئاً أَحْسَنَ من رسول اللهِ ﷺ، كان كأن الشَّمْسَ تجري في جبهته »(٣٥).

١-٦ النبي الحيي: في وصفِ الله تعالى للنبي ﷺ بالحياء في قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] دلالةٌ على أن النبي كان حييا، والحياء شعبة من الإيمان(٣٦)، وقد ورد في الحديث الشريف: أن رسول الله ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها(٣٧)، فحفاظا على مقام النبوة نبه القرآن على شدة صفة الحياء عند النبي، وقد ناب الله عنه في تبليغ الصحابة بأن لا يطيلوا المكوث في بيته وذلك لشدة حيائه، وفي الوقت ذاته علم القرآن الرسول بأن لا يستحيي من إخراج أصحابه المسترسلين في الحديث في بيته لأن ذلك حق له، والله تعالى لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره.

المبحث الثاني: ولاية النبي ﷺ العامة على المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦].

إن ولاية النبي العامة على المؤمنين لها علاقة وثيقة بمكانة النبي السامية عند الله تعالى وكذلك هي من خصوصياته، ولما منع الإسلام التبني ناسب أن يبين ماهية ولاية النبي ﷺ بالنسبة لزيد بن حارثة خاصة والمؤمنين عامة، فبين القرآن أن هذه الولاية هي ولاية عامة على كل المؤمنين، وأنه ﷺ أولى بهم من أنفسهم، وعليهم أن يقدموه على أنفسهم، لأنه السبب في إخراجهم من الظلمات إلى النور، فعلاقته ﷺ بالمؤمنين أعظم من أي علاقة فهو رحيم ورؤوف بهم.

وكذلك قررت الآية أمومة أزواج النبي ﷺ الروحية للمؤمنين وذلك حرمة له ﷺ وتشريفا لقدره. وقد جعل الله تعالى ولاية النبي ﷺ عامة على المؤمنين لأنه يستحق هذه المكانة وهو أولى بهم من أنفسهم في كل أمور الدين والدنيا لأنه أعلم بمصالحهم وأحرص عليهم من أنفسهم فهو كما وصفه الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فقد جمع النبي ﷺ بين حرص الوالد على مصلحة ولده وعطف الأم ورحمتها بأولادها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: « إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدوَاب التي تَقَعُ في النارِ يَقَعْنَ فيها فَجَعَلَ يَنْزِعُهُن وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النارِ وأنتم تَقَحَّمُونَ فيها »(٣٨)، وقال النبي ﷺ: « ما من مُؤْمِنٍ إلا وأنا أَوْلَى بِهِ في الدنْيَا وَالآخِرَةِ اقرؤوا إن شِئْتُمْ ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فَأَيمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ من كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أو ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلاهُ »(٣٩)، وقال ﷺ: « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم »(٤٠)، وقال ﷺ أيضا: « لا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَب إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالناسِ أَجْمَعِينَ »(٤١). وهذه الولاية العامة تكون في الدنيا ولها أثر عظيم في الآخرة، أما في الدنيا فقد بينتها الأحاديث السابقة، وأما أثرها في الآخرة فهي تتضح بشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين.

وقد قرن الله تعالى بين ذكر ولاية النبي العامة على المؤمنين وبين جعل أزواجه أمهات للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ للدلالة على أن كل من اتصل بهذا النبي بصلة ما صارت له أهمية واحترام، وأولى من تكون له هذه المكانة والأهمية هن أزواجه، فجعلهن الله تعالى أمهات للمؤمنين من حيث حرمة التزوج بهن بعد موت النبي ﷺ ومن حيث احترامهن وتقديرهن.

وقد غلظ القرآن العقوبة لمن لا يحترم أمهات المؤمنين فيرمي إحداهن بفاحشة أو سوء لأن في ذلك إيذاء مباشرًا للنبي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور: ٢٣] ، فهذه الآية نزلت في عائشة خاصة وفي أمهات المؤمنين عامة، فرضي الله عنهن أجمعين.

المبحث الثالث : وجوب اتباع أوامر النبي والنهي عن عصيانه

إذا كانت للنبي الولاية العامة على المؤمنين، وكان أعرف بمصالحهم من أنفسهم وحريصا على منفعتهم أشد الحرص، فيجب اتباع أوامره ويحرم عصيانه ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦] فهذه الآية مناسبة لأحد محاور السورة الأساسية المتعلقة بمكانة النبي ﷺ، فهي تبين أن طاعة الرسول فرض على كل مؤمن ومؤمنة، وأن عصيان أمره هو عصيان لأمر الله تعالى، فالمؤمن الحقيقي يبادر للطاعة دونما تردد .

وتمضي الآية تقول: ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله في أنفسهم حُكمًا أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم أو أن يخالفوه، ومن يعص الله ورسوله فقد بَعُدَ عن طريق الصواب بُعْدًا ظاهرًا وحاد عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدى والرشاد، فهذه الآية تؤكد التسليم لله والرسول ﷺ في كل ما أمر به أو نهى عنه، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن يعص الرسول فقد عصى الله تعالى، ثم يعرض القرآن لنموذج عملي في تطبيق الطاعة للرسول فها هي زينب أم المؤمنين قد أطاعت الله ورسوله حقا فسلمت أمرها لله وللرسول وتزوجت بزيد طاعة لله ولرسوله، ثم كافأها الله تعالى بأن تزوجت بسيد الخلق محمد ﷺ، فقد ثبت في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ ...﴾ [الأحزاب: ٣٦]، عن قتادة قال: « خطب النبي ﷺ زينب وهي بنت عمته وهو يريدها لزيد، فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ فرضيت وسلمت »(٤٢) .

إن الآيات المتعلقة بزواج النبي من السيدة زينب بعد أن طلقها زيد تثبت منع التبني في الإسلام، وتؤكد قاعدة اجتماعية، وهي أنه لا فرق بين الناس بسبب أنسابهم وأن التفاضل بينهم يكون بالتقوى، ولهذا ناسب أن يتزوج زيد زينب التي تفوقه نسبا، وناسب أن يتزوج بلال الحبشي أخت عبد الرحمن بن عوف، وهذه القاعدة أكدها القرآن الكريم في آيات أخرى تؤكد الأصل الواحد للإنسانية والمساواة بين الناس في الخلق، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣] .

ونتيجة لامتثال طاعة الله تعالى ورسوله التي هي الأمانة الكبرى أو عصيان الله ورسوله فقد عرضت سورة الأحزاب صنفين من أصناف الناس: المؤمن المطيع، والكافر أو المنافق، وعرضت السورة نماذج عديدة لهذين الصنفين: فالصنف الأول هم المؤمنون المطيعون وهم الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه كأنس بن النضر، وعلي وطلحة، وزيد بن ثابت، وزينب بنت جحش، ونساء النبي اللواتي أطعن الله ورسوله واخترن الله ورسوله، وآل بيته الكرام، ثم عرضت السورة لأنواع المؤمنين والمسلمين المتصفين بالقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصيام وحفظ الفروج والإكثار من ذكر الله تعالى، وفي مقابلهم عرضت السورة نماذج للصنف الثاني من الناس وهم: العاصون الخائنون لله ولرسوله الذين يؤذون الله ورسوله والمؤمنين، وهم: الأحزاب من المشركين وعلى رأسهم كفار قريش، واليهود وعلى رأسهم بنو قريظة، والمنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول.

وكذلك بينت السورة جزاء كل طائفة من هاتين الطائفتين، ومن هنا حسن ختم السورة بقوله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٣ ﴾ [الأحزاب: ٧٣] . فيلاحظ من هذه السورة الكريمة أن محورها هو محمد رسول الله ويدور حوله صنفان من الناس: مؤمن وكافر، ففصلت السورة أحواله مع المؤمنين عامة وخاصة مع أهل بيته، ومع غير المؤمنين من الكفار واليهود والمنافقين.

المبحث الرابع : دلالة قصة زيد مع زينب رضي الله عنهما على مكانة النبي ﷺ

أولا: إن الله عز وجل تولى بنفسه تزويج النبي من زينب من دون مهر ولا شهود وهذا ما عبر عنه سبحانه بقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وهذا من خصوصياته ﷺ، وفيه دلالة على عظم مكانته عند الله تعالى، ولهذا كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: « إن اللهَ أَنْكَحَنِي في السمَاءِ »(٤٣).

ثانيا: إن في قوله تعالى في قصة زينب مخاطبا رسوله: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ثم إتباعها بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] ، تعليم لهذا النبي بلزوم خشية الله تعالى فالله سبحانه يقول لنبيه محمد ﷺ: كن من أولئك الرسل الذين هذه صفتهم، ولا تخش أحدا إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من الله إن أراد بك سوءا(٤٤).

وكما سبق أن ذكرنا فقد كان النبي ﷺ فعلا أخشى الناس لله تعالى فقد ورد في الحديث السابق: « إني لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتقِي »، وفيما رواه

البخاري عن أَنَسٍ حول موضوع زواج النبي ﷺ من زينب دلالة على صدق الرسول وخشيته من الله تعالى فقد قال أنس: « جاء زَيْدُ بن حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَلَ النبي ﷺ يقول: اتقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، قال أَنَسٌ: لو كان رسول اللهِ ﷺ كاتِمًا شيئا لَكَتَمَ هذه(٤٥)، وعن عائشة قالت: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية »(٤٦).

إن هذه الآيات تدل على صدق الرسول ﷺ في تبليغه عن الله عز وجل فهو قد نقل الوحي وبلغه كله دون أن ينسى أو يكتم منه شيئا، ولو كان كاتما شيئا لكتم هذه الآيات التي تعاتبه في إخفائه أمرا عن الناس خشية من المنافقين أن يقولوا تزوج من حليلة ابنه، ولهذا يقول ابن حجر في سبب نزول الآية: « لم تختلف الروايات أنها نزلت في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش »(٤٧) ، ثم قال ابن حجر معلقا على الروايات الأخرى التي ذكر فيها متعلق ما أخفاه النبي في نفسه من أنه أحب زينب وغير ذلك من أمور لا تليق بعصمته ﷺ، فقال: « ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها والذي أوردته منها هو المعتمد »(٤٨).

وهذا القول هو ما عليه المحققون من المفسرين والراسخون في العلم، وقد توافق ما ذكره القرطبيُ مع ما ذكره ابن حجر في نفي كل الروايات الأخرى التي فيها تخبط فيما يتناول متعلق ما كتمه الرسول وخشي الناس من الاطلاع عليه مما يتنافى مع عصمة النبي ﷺ ، وذلك كقول بعض المجانين: إن النبي ﷺ عشق زينب رضي الله تعالى عنها(٤٩).

وإن إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من عادة التبني بواسطة تطبيق إمام المسلمين فيه من الحكم العظيمة الكثير(٥٠).

المبحث الخامس: دلالة أخذ الميثاق من النبيين على مكانة النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾ [الأحزاب: ٧] .

تأخذنا هذه الآية الكريمة إلى بداية خلق الإنسان على الأرض وبداية بعثة الأنبياء عليهم السلام تلك الأزمنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وإن سورة الأحزاب قد طوفت بنا في أزمنة عديدة:

١ - **بداية بعثة الأنبياء على الأرض:** حينما أخذ الله الميثاق من أول نبي.
٢ - **العصور التي سبقت عصر النبي ﷺ:** قصص الأنبياء ومنهم موسى عليه السلام.

٣ - **عصر النبي ﷺ:** الأحداث التي ذكرت في عصر النبي مع الناس حوله كغزوة الأحزاب.

٤ - **المستقبل:** ما ذكر في السورة من الوعد بفتح أراض أخرى غير أرض يهود بني قريظة ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] .

٥ - **ما بعد نهاية التاريخ الإنساني على الأرض:** ذكر ما يتعلق بالجنة أو النار.

لقد أوضحت هذه الآية أمراً خطيراً وهو أخذ الله العهد القوي من النبي ﷺ ومن إخوانه الأنبياء عليهم السلام كي يؤدوا وظيفة النبوة والتبليغ على أحسن وجه في المنشط والمكره، وبأن يعبدوا الله ويدعوا الخلق إلى عبادة الله عز وجل وأن يبشر كل واحد منهم بمن بعده(٥١).

وهذا يدل على أمرين أولهما: عظم وخطر أمر النبوة، وثانيهما: هو مكانة خاتم الأنبياء ﷺ عند الله فهو مقدم على الأنبياء كلهم، وهو « بدر عالم الإسلام المنور، الذي طار في طبقات الحقيقة بجناح الرسالة الذي احتوى جميع الأنبياء تحت ظله، وبجناح الإسلام الذي حوى كل عالم الإسلام إلى حمايته »(٥٢)، وقد ذكر الله أنه أخذ العهد من الأنبياء عليهم السلام كي يؤمنوا بالنبي ﷺ إذا هو بعث في زمانهم فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١] ، وقال السدي: « لم يبعث الله عز وجل نبيا قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه إن خرج وهو حي، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرنه إن خرج وهم أحياء »(٥٣) .

قال الآلوسي: « وأخذ الميثاق من النبيين له ﷺ ... مع علمه سبحانه أنهم لا يدركون وقته لا يمنع من ذلك لما فيه مع ما علمه الله تعالى من التعظيم له ﷺ والتفخيم ورفعة الشأن والتنويه بالذكر مالا ينبغي إلا لذلك الجناب وتعظيم الفائدة إذا كان ذلك الأخذ عليهم في كتبهم »(٥٤).

ونتيجة هذا العهد هو إقامة الحجة فيثيب الله الصادقين والمخلصين في وفائهم العهد، ويعذب الكافرين المنكرين عذابا أليما. وقد تجلت مكانة النبي ﷺ من خلال هذه الآية والآية التي سبقتها وهي قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] إذ أعطته هذه الآية الأخيرة مكانة الولاية على كل المؤمنين، وأما آية أخذ الميثاق فقد قدمته على جميع الأنبياء مكانة بتقديم ذكره على ذكرهم مع أنه متأخر عنهم زمنا ، وفي هذا رد واضح على الجهلاء الذين لا يعرفون مكانة النبي الكريم ﷺ. والأنبياء عليهم السلام إخوة من علات(٥٥) وكلهم أتوا بدين واحد وأيد بعضهم بعضا، وقال رسول الله ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من عِلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي »(٥٦).

القسم الثاني: خصائص النبي ﷺ في سورة الأحزاب
وفيه تمهيد و أربعة مباحث:

تمهيد : في بيان المراد بالخصائص وأشهر ما ألف فيها

١ - تعريف الخصائص : قال الراغب الأصفهاني: التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم والتعمم والتعميم(٥٧).

وتعريف الخصائص بما يتعلق بالرسول ﷺ هي: الأمور التي اختص الله تعالى بها نبيه تعظيما له وتكريما. وفائدة بيان هذه الخصائص أن يعرف المتبع لشريعة المصطفى ما لا يسوغ الاقتداء به من أمور اختص بها(٥٨)، ثم بيان فضله على سائر الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. أما عدد هذه الخصائص فكثير ذكرت في كتب الحديث والتفسير والسير والطبقات والتواريخ ومقدمات أبواب النكاح في كتب الفقه، وقد أفرد العلماء لها كتبا خاصة اهتمت ببيان المسائل التي اختص بها النبي ﷺ من الناحيتين التشريعية والتفضيلية، وهذه الخصائص على أربعة أنواع:

أ - ما اختص به في ذاته في الدنيا مثل كونه خاتم النبيين وأفضلهم، والإسراء والمعراج.

ب - ما اختص به هو وأمته في شرعه في الدنيا مثل إحلال الغنائم.

ج - ما اختص به في ذاته في الآخرة مثل كونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يقرع باب الجنة.

د - ما اختص به في أمته في الآخرة مثل بعث أمته غرا محجلين من آثار الوضوء(٥٩).

٢ - أشهر ما ألف في الخصائص: من أول من ألف في الخصائص أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الكلبي المعروف بابن دحية سنة ٦٣٣ هـ كتاب: نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ، ومن أهم وأشهر الكتب التي ألفت في هذا المجال(٦٠): كتاب غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن عمر بن علي الأنصاري ٨٠٤ هـ ، وكتاب الأنوار بخصائص النبي المختار لابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ، وكفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب وهي الخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطي ٩١١هـ . وقد ألفت كتب مهمة في الشمائل المحمدية احتوت على الخصائص ومنها: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ .

المبحث الأول : كون النبي ﷺ أسوة حسنة في كل شيء

يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) ﴾ [الأحزاب: ٢١ – ٢٤] .

تبين هذه الآيات مكانة النبي من أمته فهو جدير بأن يُتأسى به في كل الأمور، فهو القدوة الحقيقية لكل المؤمنين وهو الإنسان الكامل حقا. وكذلك ربى النبي ﷺ أصحابه على الصدق والوفاء بالعهود والإيمان الكامل والاعتماد على الله حق الاعتماد ليكونوا نموذجا عمليا لنا، وبسبب تطبيقهم هذه الصفات استحقوا هذا المدح من الله تعالى.

إن هذه الآيات هي عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله ﷺ وعسكره بالمدينة من المؤمنين به ومن غير المؤمنين، فالمؤمن عليه أن يكون مع رسول الله حيثما كان ولا يتخلف عنه، لأن النبي قدوة له فقد بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق(٦١)، وأما المنافق فتقوم عليه الحجة.

ومقابل الصورة القاتمة للمتخلفين عن القتال وللمثبطين عنه من المنافقين كان هناك صورة رائعة يرسمها الرسول الأسوة الحسنة وأصحابه الكرام، صورة « مطمئنة وسط الزلازل، واثقة بالله، راضية بقضاء الله، مستيقنة من نصر الله، بعد كل ما كان من خوف وبلبلة واضطراب »(٦٢)، وكذلك رسم أصحاب رسول الله الذين اقتدوا به صورة الواثق بنصر الله الموفي بعهد الله تعالى، فكانوا بذلك قدوة لمن يأتي بعدهم من المؤمنين على مر العصور ونموذجا في تاريخ البشرية لم يعرف له نظير(٦٣).

فقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، هو أصل عظيم في وجوب الاقتداء برسول الله في كل الأمور واتباع سنته السنية، ومن لم يقتد به فقد ضل ضلالا بعيدا. فالنبي ﷺ هو القدوة الحسنة لكل المسلمين في أقواله وأفعاله وأحواله، ففي غزوة الخندق بذل نفسه لنصرة دين الله فشارك في حفر الخندق، وجاع مثلما جاع المسلمون ، فعن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر(٦٤) فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين »(٦٥)، وقال ﷺ لما شج وجهه وكسرت رباعيته: « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »(٦٦)، فقد ضرب النبي ﷺ المثل للمسلمين في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله، ولقد قتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يُلفَ إلا صابرا محتسبا وشاكرا راضيا(٦٧)، ولهذا قال

تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٦٨).

ومعنى الأسوة الحسنة كما يقول الزمخشري: إما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المقتدى به، وإما أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه(٦٩)، ولهذا قال البغوي: « اقتداء حسن أن تنصروا دين الله وتوازنوا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو، إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب من الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته »(٧٠).

والذي يقتدي برسول الله ويتخذه قدوة حسنة إنما هو ذاك المؤمن الذي يرجو ثواب الله تعالى ويخافه ويرجو الثواب يوم القيامة ويخاف عذاب الله تعالى فيه، والمؤمن الصادق يذكر الله تعالى كثيرا فإن مَنْ ذكر الله كثيرا خافه ولان قلبه ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ② ﴾ [الأنفال: ٢]، وذِكرُ الله يؤدي لملازمة الطاعة ومن ثم يلزم عنها محبة رسوله ﷺ والاقتداء به، وفي ذكر هذه الصفات رد على المنافقين الذين لم يقتدوا برسول الله حيث لم يتوفر لديهم الرجاء في ثواب الله تعالى والخوف من عذابه وهم لا يذكرون الله إلا قليلا.

وقد ضرب لنا أصحاب النبي ﷺ مثلا عظيما في حسن اتباع النبي ﷺ والالتزام بسنته السنية، فمثلا: « عن مَعْبَدٍ الجهني عن حُمْرَانَ بن أَبانَ قال: كنا عِنْدَ عُثْمَانَ بن عَفانَ رضي الله عنه فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضأَ، فلما فَرَغَ من وُضُوئِهِ تَبسمَ، فقال: هل تَدْرُونَ مِم ضَحِكْتُ؟ قال: فقال: تَوَضأَ رسول اللهِ ﷺ كما تَوَضأْتُ، ثُم تَبسمَ، ثُم قال: هل تَدْرُونَ مِم ضَحِكْتُ؟ قال: قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: إن الْعَبْدَ إذا تَوَضأَ فَأَتَم وُضُوءَهُ، ثُم دخل في صَلَاتِهِ فَأَتَم صَلَاتَهُ، خَرَجَ من صَلَاتِهِ كما خَرَجَ من بَطْنِ أُمهِ مِنَ الذنُوبِ »(٧١).

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ㉒ ﴾ [الأحزاب: ٢٢]: فبعدما بين الله تعالى حال المنافقين ذكر حال المؤمنين وهو أنهم قالوا: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ من الابتلاء، ثم قالوا: ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾، في مقابلة قول المنافقين: ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢](٧٢)، فلما عاين المؤمنون جماعات الأحزاب قادمة بحماسة لمحاربتهم علموا أنهم سيبتلون بشدائد عظيمة وأنهم سينتصرون في النهاية على الأحزاب(٧٣)، وزادهم هذا الأمر إيمانا بالله تعالى حيث عاينوا ما وعدهم الله حسا في عالم الشهادة بعد أن سبق أنْ أخبرهم به قبل وقوعه، وزادهم تحقق هذا الوعد تسليما بما يخبرهم به الله ورسوله من أمور

غيبية أو غيرها، قال الطبري: « وعدهم بقوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فأحسن الله الثناء عليهم بذلك من يقينهم وتسليمهم لأمره فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء »(٧٤).

وفي إظهار اسم الله واسم الرسول في قوله: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ زيادة تعظيم لله تعالى فلم يقل: وصدقا. وذكر الصدق هنا تأكيد للوعد الذي وعدهم الله تعالى ورسوله به، قال ابن عطية : هذا « ليس إشارة إلى ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع، وإنما هي إشارة إلى بشارة، وهو أنهم قالوا : ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وقد وقع، وصدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس »(٧٥). وشأن المؤمن أن يزداد إيمانه ويسلم أمره لله تعالى كلما رأى آية من آيات الله الكونية أو القرآنية. وقد جمع الله تعالى لهم بين وصفي الإيمان الذي هو التصديق القلبي، والإسلام من خلال كلمة « تسليما » التي هي صيغة مبالغة من الإسلام، ليشير إلى أنهم سلموا لقضاء الله وقدره بجميع جوارحهم(٧٦) .

المبحث الثاني : النبي ﷺ مع زوجاته

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تخيير النبي ﷺ لزوجاته ودلالة ذلك على مكانته

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب: ٢٨ – ٢٩].

لما فتح الله تعالى على نبيه الدنيا فأورث المسلمين أرض اليهود وديارهم وأموالهم، ظن نساء النبي ﷺ أن النبي سيوسع عليهن في النفقة كسائر النساء المؤمنات، فشكلن جبهة داخلية واجهها النبي بصبر وأناة مثلما واجه جبهة الأحزاب الخارجية ليكون الأسوة الحسنة لكل مؤمن، فقد بينت هاتان الآيتان الكريمتان كيفية تعامل النبي ﷺ مع أسرته، ومقام النبي الزوج، وهو الذي كان يقول: « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي »(٧٧).

وقد ذكر أهل التفسير أن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً وصعد إلى غرفة له فمكث فيها، فنزلت هذه الآية، فنزل رسول الله ﷺ فعرض الآية عليهن فبدأ بعائشة فقال: « يا عَائِشَةُ إني أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُ أَنْ لاَ تَعْجَلِي فيه حتى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ »، قالت: وما هو يا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلاَ عليها الآيَةَ، قالت: أَفِيكَ

يا رَسُولَ اللهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَي؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدارَ الآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لا تُخْبِرَ امْرَأَةً من نِسَائِكَ بِالَّذِي قلتُ، قال: « لا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُن إلا أَخْبَرْتُهَا، إِن اللهَ لم يَبْعَثْنِي مُعَنتًا ولا مُتَعَنتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلمًا مُيسرًا »(٧٨)، والقصة بطولها مذكورة في كتب الحديث(٧٩) والتفسير(٨٠).

ففي هذه الآيات يأمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بأن يخير نساءه اللاتي اجتمعن عليه يطلبن منه زيادة النفقة بين أن يفارقهن دون ضرر أو إيذاء، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن -رضي الله عنهن وأرضاهن- الله ورسوله وما أعد الله لهن في الدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة(٨١).

وفيما خيرهن فيه الرسول ﷺ قولان: أحدهما: أنه خيرهن بين الطلاق والمقام معه، هذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها، والثاني: أنه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن أو اختيار الآخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق، قاله الحسن وقتادة. والقول الأصح في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه أنه خيرهن بإذن الله تعالى في البقاء على الزوجية، أو الطلاق، فاخترن البقاء ، لقول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن الرجل يخير امرأته، فقالت: قد خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ، فلم يعده طلاقا ، ولم يثبت عن رسول الله ﷺ إلا التخيير المأمور بين البقاء والطلاق(٨٢).

وفي هذه الآيات فوائد متعلقة بنسائه منها :

أ - حث واضح على منع إيذاء النبي ﷺ أو مضايقته، ولو من أقرب الناس إليه وهن زوجاته، وفيها أدب عال خاص ببيت النبوة ونسائه الطاهرات، وفيها ترفع عن حطام الدنيا ، وتربية لنساء النبي ﷺ على الزهد والعفة والخلق السامي، وإعظام الله ورسوله ﷺ .

ب - بيان حب النبي ﷺ لزوجه عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها حيث بدأ بتخييرها، وفيه بيان فضلها وفضل أمهات المؤمنين على غيرهن من نساء العالمين حيث إنهن اخترن رضا الله تعالى ورضا رسوله ﷺ على متاع الدنيا الزائل.

ج - أراد النبي ﷺ أن يرفع أزواجه إلى المستوى العالي المتجرد عن حظوظ الدنيا كي يكن قدوة لنساء العالمين، وفي ذلك دلالة واضحة على أن دعوة الرسول ﷺ لم يكن هدفها سوى رضا الله عز وجل وأنه كان أزهد الزاهدين في الدنيا التي فتحت له أبوابها وغنائمها فأعرض عنها إلى الطاعة الخالصة لله عز وجل، بالتجرد عن حظوظ الدنيا، وجعل الآخرة هي المقصد الأساسي.

المطلب الثاني : بيان فضل نساء النبي ﷺ على سائر نساء العالمين :

قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢ - ٣٤].

لما كان من أهم محاور هذه السورة بيان مكانة النبي ﷺ، اقتضى ذلك بيان فضل نسائه اللواتي جعلهن في بداية السورة أمهات للمؤمنين عليهن الرضوان والرحمة ، ولما كانت هذه السورة تحث على الطاعة الكاملة والاستسلام لله تعالى وقد فعلت نساء النبي ﷺ ذلك واخترن الله ورسوله على الدنيا وزينتها، فقد كافأهن الله تعالى الكريم الرحيم ففضلهن على نساء العالمين وجعلهن قدوة يقتدى بهن.

ونتيجة للعهد الذي عاهدن عليه رسول الله ﷺ وهو اختيار الله تعالى واختيار الرسول ﷺ فإن الله عز وجل خاطبهن مباشرة، متوعدًا من اقترفت ذنبا أو فاحشة بمضاعفة العذاب، وواعدًا المحسنات منهن – وكلهن محسنات – أجراً عظيماً، وأول بوادر هذا الأجر هو مضاعفة حسناتهن ووعدهن بجنة عرضها السموات والأرض(٨٣).

ولما كانت مكانتهن رفيعة ناسب أن يجعل الله عقوبة الذنب الواقع منهن مغلظة؛ صيانة لجنابهن وجناب رسول الله ﷺ، وعلى قدر علو المقام يكون الملام، وبقدر النعمة تكون النقمة(٨٤)، وكذلك خصهن بأمور ليقتدى بهن لأنهن خير نساء العالمين:

أ - النهي عن ترقيق الكلام(٨٥).
ب - القرار في البيت وعدم الخروج إلا لحاجة.
ج - عدم إظهار زينتهن التي يحرم إظهارها للأجانب.
د - إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.
هـ - تحقيق صون العرض والسمعة عن الذنوب والمعاصي والتجمل بالتقوى.

و - أمرهن بتذكر نعم الله تعالى عليهن(٨٦) بأن جعلهن في أطهر بيت، وبأن أذهب عنهن الرجس وطهرهن تطهيرا، فلتقتد نساء العالمين بخير نساء العالمين وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

ومن مكانته ﷺ أن جعل الله تعالى اسم سنته حكمة، فأمر نساءه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من القرآن وحديث الرسول ﷺ، وأن يعملن به، وأن يقدُرْنه حق قدْره، فهو من نِعَم الله عليهن، إن الله كان لطيفًا بهن؛ إذ جعلهن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله، وهو سبحانه خبيرٌ بهن إذ اختارهن لرسوله أزواجًا(٨٧).

المطلب الثالث : فضل آل بيته الكرام تكريما للنبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

إن من مكانة النبي ﷺ عند الله هو أن الله تعالى اختار أهل بيته خاصة -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-، وزكاهم وأبعد عنهم الأذى والسوء والشر وطهّر نفوسهم غاية الطهارة. وإن آل البيت هم على الراجح عند أهل السنة والجماعة : أولاده ﷺ وأزواجه(٨٨) وعلي والحسن والحسين منهم، وكذلك بنو أعمامه: العباس وأبو طالب(٨٩)، وسياق الآيات يؤيد دخول الزوجات في أهل البيت لأنها نزلت تخاطب نساء النبي ﷺ ومما يدل على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين، في آل بيته روايات عديدة في كتب السنة منها: عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: جئت أريد عليا رضي الله عنه فلم أجده، فقالت فاطمة رضي الله عنها: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه فاجلس، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخل ودخلت معهما، قال: فدعا رسول الله ﷺ حسنا وحسينا فأجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣](٩٠) . وتدل آية تزكية آل البيت على أن محبة آل البيت فرض على كل مسلم ومسلمة، ويؤيد هذا قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] .

المبحث الثالث : خصائص النبي ﷺ في أحكام الزواج

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٠ – ٥٢] .

لما بين الله تعالى في بدء السورة أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وكان من أهم مقاصد السورة بيان ما شرف الله تعالى به نبيه وبيان مناقبه وما خصه الله به مما قد

يطعن فيه المنافقون من كونه أولى من كل أحد بنفسه وما له، ناداه بوصف النبوة لأنه مدار الإكرام من الخالق والمحبة من الخلائق تشريفا له به، ثم بين سبحانه وتعالى أنه أحل للنبي ﷺ أصنافا محددة من النساء دون غيره من المؤمنين نظرا إلى أهمية الدور الذي يقوم به في الدعوة إلى الله تعالى مما اقتضى تشريعات خاصة به(٩١).

قال ابن عاشور: « إنه لما خاض المنافقون في تزوّج النبي ﷺ زينب بنتَ جحش وقالوا : تزوج من كانت حليلة متبنّاه ، أراد الله أن يجمع في هذه الآية مَنْ يحل للنبي تزوجهن حتى لا يقع الناس في تردد ولا يفتنهم المرجفون . ولعل ما حدث من استنكار بعض النساء أن تهدي المرأة نفسها لرجل كان من مناسبات اشتمالها على قوله : ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ...﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠] ، ولذلك جمعت الآية تقرير ما هو مشروع وتشريع ما لم يكن مشروعاً لتكون جامعة للأحوال، وذلك أوعب وأقطع للتردد والاحتمال »(٩٢).

وتنبه الآيات الكريمة السابقة إلى أن الله تعالى أحل لنبيه أربعة أصناف من النساء فتقول:

أ - يا أيها النبي إنا أبَحْنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن.

ب - وأبَحْنا لك اللاتي مَلَكَتْ يمينك من إمائك اللواتي سبيتهن فملكتهن بالسبي وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء فهن مما أنعم الله به عليك.

ج - وأبحنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك دون من لم يهاجر منهن معك.

د - أبحنا لك امرأة مؤمنة مَنَحَتْ نفسها لك من غير مهر، إن كنت تريد الزواج منها خالصة لك، وليس لغيرك من المؤمنين أن يتزوج امرأة بالهبَة، ولم يكن تحت رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها بالرغم من عرض ما يقرب من ثلاث نسوة أنفسهن على رسول الله ﷺ منهن أم شريك(٩٣).

ثم يبين الله خصوصية النبي ﷺ في هذا الحكم بأن الله تعالى قد علم ما أوجب على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بألا يتزوجوا إلا أربع نسوة، وما شاؤوا من الإماء، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم، ولكن الله رخص للنبي ﷺ في ذلك، ووسعَ عليه ما لم يُوسعْ على غيره؛ لئلا يضيق صدره ولا يكون عليه إثم في نكاح مَن نكح مِن هؤلاء الأصناف. وكان الله غفورًا له ولذنوب عباده المؤمنين، رحيمًا بالتوسعة عليه وعليهم. وقد كان لرسول الله ﷺ قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أي النساء شاء، فقصره الله على هؤلاء فلم يعدهن، وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع(٩٤).

ومن خصوصيات النبي أن الله خاطبه بأنه سمح له بأن يؤخر مَن يشاء مِن نسائه في القَسْم في المبيت، ويضم إليه مَن يشاء منهن، ومَن طَلَبَ ممن أخر قَسْمها، فلا إثم عليه في هذا، ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرحن ولا يحزن، ويرضين كلهن بما قسم النبي ﷺ لهن، والله يعلم ما في قلوب الرجال مِن مَيْلها إلى بعض النساء دون بعض. وكان الله عليمًا بما في القلوب، حليمًا لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. وعن قتادة قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] قال: فجعله الله في حل من ذلك أن يدع من يشاء منهن ويأتي من يشاء منهن بغير قسم وكان نبي الله يقسم،... ويعدل بينهن حتى لقي الله⁽٩٥⁾ ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستأذن إذا كان في يوم المرأة منا بعد ما نزل: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾، قالت معاذة: فقلت لعائشة: ما كنت تقولين لرسول الله ﷺ ؟ قالت: كنت أقول: إن كان ذاك إلي لم أوثر أحدا على نفسي⁽٩٦⁾.

ثم خاطب الله تعالى نبيه بأنه لا يباح له النساء من بعد نسائه اللاتي في عصمته، واللاتي أباحهن له، ومن كانت في عصمته من النساء المذكورات لا يحل له أن يطلقها مستقبَلا ويأتي بغيرها بدلا منها، ولو أعجبه حسنها، وأما الزيادة على زوجاته من غير تطليق إحداهن فلم يكن هناك حرج عليه في ذلك، وأما ما ملكت يمينه من الإماء فحلال له منهن من شاء. وكان الله على كل شيء رقيبًا، لا يغيب عنه علم شيء⁽٩٧⁾.

وهذه الآية دليل على منع تبديل زوجات النبي اللاتي اخترنه وهن التسع اللواتي سبق ذكرهن⁽٩٨⁾، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ قال: حبسه الله عليهن كما حبسهن عليه⁽٩٩⁾، فلما حرم الله عليهن أن يتزوجن من بعده، حرم عليه أن يتزوج غيرهن⁽١٠٠⁾.

نتبين من الآيات السابقة أن الله تعالى خص النبي ﷺ بخصائص فأحل له أشياء لم يحلها لأحد غيره، وحرم عليه أشياء لم يحرمها على أحد غيره، وإن كل من يعدد الزوجات فالنبي ﷺ قدوته في العدالة، فقد كان ﷺ حريصا على ذلك حتى إنه كان إذا سافر يجري القرعة بين زوجاته، وفي مرض موته استأذن من زوجاته أن يمرض في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها، فالعدالة المادية ممكنة ولكن الحب فوق الطاقة البشرية فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل فيقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »⁽١٠١⁾.

وإن النبي إنما عدد زوجاته بأمر من الله تعالى، ولهذا كان وراء كل زواج حكم كثيرة مثل الحكم التي ذكرناها عن زواجه بزينب رضي الله عنها.

وإن الله تعالى ذكر في هذه الآيات الكريمة أسماء حسنى له مثل الغفور والرحيم والعليم والحليم وكونه على كل شيء رقيب، كل ذلك ليزداد الإنسان حبا لله تعالى

وتعلقا به، ويعرف صفات خالقه وأسماءه الحسنى، وإن المؤمن يحذر من اطلاع الله تعالى على ما في قلبه من نوايا غير صالحة، لأن الله تعالى عليم بذات الصدور مطلع عليها، وهو رقيب على كل شيء، وهذا مدعاة كي يراقب العبد ربه في كل أحواله.

المبحث الرابع : آداب دخول بيت النبي وأمر أمهات المؤمنين بالحجاب

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) ﴾ [الأحزاب: 53 – 55] .

بعد أن انتهى الكلام عن خصائص النبي ﷺ المتعلقة بالزيجات، بدأ الكلام عن خصوصية دخول بيته المبارك، ومخاطبة نسائه من وراء حجاب، وختمت الآيات بحرمة إيذاء الرسول ﷺ مطلقا وخصوصا فيما يتعلق بحرمة تزوج نسائه من بعد موته حرمة له وتعظيما. وكما أكدت الآيات السابقة مراقبة الله تعالى، عادت هذه الآيات لتؤكد المراقبة الذاتية لله تعالى بقوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ ، ويلاحظ في هذه الآيات والتي سبقت التركيز على القلوب واطلاع الله تعالى عليها كي يطهرها المرء من الأدناس الحسية والمعنوية، ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين بمخاطبة النساء من وراء حجاب حفاظا على طهارة القلب، ثم حذرهم من اطلاعه على ما في قلوبهم، وعلى كل أعمالهم، وأنه شهيد عليهم، كل ذلك ليرقى الإنسان إلى مرتبة الإحسان فيعبد الله كأنه يراه.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآيات عن أَنَسٍ رضي الله عنه قال: ((بُنِيَ على النبي ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلْتُ على الطعَامِ دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُم يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حتى ما أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فقلت: يا نَبِيَ اللهِ ما أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قال: ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدثُونَ في الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النبي ﷺ فَانْطَلَقَ إلى نِسَائِهِ يسلم عليهن، ثُم رَجَعَ النبي ﷺ فإذا ثَلَاثَة رَهْطٍ في الْبَيْتِ يَتَحَدثُونَ، وكان النبي ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نحو حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَأُخْبِرَ أَن الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ حتى إذا وَضَعَ رِجْلَهُ في أُسْكُفةِ الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً، أَرْخَى الستْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ))(١٠٢).

ففي هذه الآيات ينادي الله تعالى المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله بأن لا تدخلوا بيوت النبي في حال من الأحوال إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعاكم رسول الله فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله، فإذا أكلتم فانصرفوا من منزله غير مستأنسين بالحديث بينكم؛ فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره فعلم بذلك أن دخول بيته حرام، وإنما جاز لأجل الأكل فإذا انقضى الأكل زال السبب وعاد التحريم إلى أصله(١٠٣).

وإذا سألتم نساء رسول الله ﷺ حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وتركها نفي للريبة والتهمة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبدًا؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه، إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله ومن أكبر الكبائر، وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه(١٠٤)، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة ولأنهن أمهات المؤمنين(١٠٥).

إن تُظْهروا شيئًا على ألسنتكم -أيها الناس- مما يؤذي رسول الله مما نهاكم الله عنه أو من مراقبة النساء، أو تخفوه في أنفسكم، فإن الله تعالى بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء وهو يجازيكم على جميع ذلك، قال البيضاوي: وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد(١٠٦). وإن قوله تعالى في ختام هذه الأحكام: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤] ، يفيد إحاطة علم الله تعالى بكل شيء، وفيه توبيخ ووعيد لمن أضمر إيذاء النبي في زوجاته كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣](١٠٧) .

ولما نزلت آيات الحجاب تساءل بعض أقارب أمهات المؤمنين أنحن نكلمهن من وراء حجاب؟ فرد الله سبحانه عليهم: لا إثم ولا حرج على نساء النبي ﷺ وأمهات المؤمنين في عدم الاحتجاب من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن، والنساء المؤمنات –على رأي ابن عباس ومجاهد- والعبيد المملوكين لهن؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة. وخفن الله -أيتها النساء- أن تتعدَّيْن ما حَد الله لكن، فتبدين من زينتكن ما ليس لكُن أن تبدينه، أو تتركن الحجاب أمام مَن يجب عليكن الاحتجاب منه، والْزَمْنَ طاعته إن الله كان على كل شيء شهيدًا، يشهد أعمال العباد ظاهرها وباطنها، وسيجزيهم عليها.

يقول الطبري: « فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله وهو شاهد عليكن بمعصيته وخلاف أمره ونهيه فتهلكن فإنه شاهد على كل شيء »(١٠٨). فقد توج الله تعالى آية الحجاب واستثناء المحارم بالأمر بالتقوى، كأنه قال: اقتصرن على هذا، واتقين الله فيه أن تتعدينه إلى غيره.

وأما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ ...﴾ [الأحزاب: ٥٩] فقد قررت الآية وجوب الحجاب ليس على نساء النبي وبناته بل على كل مؤمنة، وقد وجه الخطاب أولا للنبي ونسائه ليعلم أنه ﷺ هو أول من يكون مكلفا بتطبيق أحكام الشريعة على أهل بيته فهو الأسوة الحسنة لكل مؤمن ومؤمنة لذا يجب الاقتداء به.

ونرى من هذه الآية أن الهدف الحقيقي من وراء الحجاب هو تحصين المرأة ومنع الأذى عنها، وخصوصاً عن أمهات المؤمنين اللواتي هن أطهر النساء اللواتي كرمهن الله بالزواج من خير البشر محمد ﷺ. ونلاحظ من الآيات السابقة والتشريعات المتعددة في السورة أن الله تعالى قد طهر هذا النبي واجتباه، وطهر زوجاته وآل بيته وأذهب عنهم الرجس، وحرم إيذاءهم بأي نوع من الأذى القولي أو الفعلي.

المبحث الخامس : تمييز النبي ﷺ بالصلاة عليه وأمر المؤمنين بذلك

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

ورد من أول هذه السورة آيات عديدة بينت مكانة النبي ﷺ الرفيعة عند الله تعالى، وبينت بعض خصوصياته، ولكن في هذه الآية قد بلغ المدح الذروة، قال الطبرسي: « لما صدر سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ وقرر في أثناء السورة ذكر تعظيمه، ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه »(١٠٩)، فالله تعالى يشرف النبي ﷺ في هذه الآية، ويبين منزلته عنده، ثم يظهر سوء فعل من نوى الإساءة لأزواجه ونحو ذلك(١١٠).

فالله تعالى يثني على النبي ﷺ عند الملائكة المقربين ويباركه ويرحمه، وملائكته يثنون على النبي ﷺ ويدعون له، وأكد الله تعالى تمجيده ﷺ بصيغة (إن)، وبالجملة الاسمية لتفيد الدوام وعدم الانقطاع، وبذكر اسم (اللهَ) تعالى، وبذكر الفعل المضارع (يُصَلونَ) الذي يفيد تجدد الثناء. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بأن يصلوا على رسول الله ويدعوا له، وأن يسلموا عليه تسليمًا، تحية وتعظيمًا له فجمع الله تعالى في هذ الآية الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا. إن تقديم الله تعالى الإخبار عن صلاته هو وملائكته على هذا النبي ﷺ هو من باب الحث العظيم للفعل، فكأن الله تعالى يقول للأمة: امتثلي هذا الأمر وكوني كملائكة الرحمن في الصلاة

على خير الأنام، وفي ذلك أيضا إعلام بتكريم الله لحبيبه المصطفى ﷺ وإعلان بفضله على سائر المرسلين، لذلك لما بشره جبريل عليه السلام بذلك سجد شاكرا الله تعالى على هذه الفضيلة والتحفة السنية(١١١).

وأما حكم الصلاة والسلام عليه فهي فرض في العمر مرة، قال ابن عطية: « والصلاة على رسول الله في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه »(١١٢)، وعند الإمام الشافعي هي فرض في الصلاة ومن تركها فسدت صلاته(١١٣).

أما كيفية الصلاة على النبي ﷺ فقد وردت أحاديث كثيرة حول ذلك منها: عن كَعْبِ بن عُجْرَةَ رضي الله عنه قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ أما السلامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصلاةُ؟ قال: قُولُوا: اللهم صَلِّ على مُحَمدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمدٍ كما صَلَّيْتَ على آل إبراهيم إنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهم بَارِكْ على مُحَمدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمدٍ كما بَارَكْتَ على آل إبراهيم إنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(١١٤).

أما أجر الصلاة عليه فقد وردت أحاديث عديدة منها: عن أبي هُرَيْرَةَ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: « من صلى عَلَيَّ وَاحِدَةً صلى الله عليه عَشْرًا »(١١٥)، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات »(١١٦). وعن أَوْسِ بن أبي أَوْسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: « من أَفْضَلِ أَيامِكُمْ يومُ الْجُمُعَةِ، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ من الصلاةِ فيه، فإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ »، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلاتُنَا وقد أَرِمْتَ - يعني وقد بَلِيتَ؟ - قال: « إِن اللهَ عز وجل حَرمَ على الأرض أن تأكل أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ »(١١٧). صلوات الله عليهم.

وزيادة على ما سبق من فوائد متعلقة بالصلاة على النبي ﷺ فقد ذكر ابن قيم الجوزية جملة من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ ومنها: امتثال أمر الله تعالى، وأنها سبب لغفران الذنوب، وكفاية العبد ما أهمه، وأنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة، وأنها سبب لقضاء الحوائج(١١٨).

ويمكن الإشارة هنا إلى أمور عديدة أخرى متعلقة بالصلاة على النبي:

١ - إن الصلاة على النبي ﷺ من أفضل العبادات لأن الله تعالى تولاها بنفسه مع ملائكته الكرام وأمر بها المؤمنين، ولا يوجد عبادة مماثلة لها من هذا الوجه.

٢ - إن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ بهذه الطريقة تفيد أن الرسول ﷺ هو أكرم مخلوق على الله تعالى وأفضل الخلق أجمعين، وهو أفضل الأنبياء قاطبة

حيث لم نؤمر بالصلاة على غيره من الأنبياء عليهم السلام. وهي خصوصية عظيمة للنبي ﷺ لأن الله تعالى أمر المؤمنين قاطبة بالصلاة عليه.

٣ - يصلي على النبي شفاهاً كلما ذكر، أما كتابة فقد ذكر ابن كثير: أن أهل الكتابة استحبوا أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه، ولم يصح في ذلك حديث، ونقل ما ذكره الخطيب البغدادي قال: رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي ﷺ من غير ذكر الصلاة عليه كتابة، قال: وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا(١١٩).

٤ - لا يفرد غير الأنبياء بالصلاة والسلام عليهم، لأن هذا صار شعارا لهم إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: أبو بكر عليه الصلاة والسلام، ولا عليّ عليه الصلاة والسلام بل رضي الله عنه، وقد روى إسماعيل بن إسحاق بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال: « لا تصح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة »(١٢٠)، واستدل البعض بالصلاة على آل محمد بجواز الصلاة على غير النبي ﷺ وقد أجاب من منع ذلك بأن الجواز مقيد بما إذا وقع تبعا، والمنع إذا وقع مستقلا، والحجة فيه أن صيغة الصلاة على النبي صارت شعارا للنبي ﷺ فلا يشاركه غيره فيه، وقال ابن حجر إن مما يقوي المنع : « أن الصلاة على غير النبي ﷺ صار شعارا لأهل الأهواء يصلون على من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم »، وأما حكم المنع فهو مكروه كما حكاه ابن حجر عن النووي(١٢١).

٥ - يستحب الصلاة على الرسول ﷺ في مواطن عديدة منها: بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة، وعند الدعاء، ويوم الجمعة، وغيرها من مواطن وأزمنة، ومن المواطن التي مضى عليها عمل الأئمة ولم تنكرها الأمة : الصلاة على النبي ﷺ في الرسائل، وما يكتب بعد البسملة(١٢٢).

المبحث السادس : اقتران أذية الرسول ﷺ بأذية الله تعالى

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧ – ٦٩].

إذا بان شرف رسول الله ومكانته عند الله تعالى وعند الملأ الأعلى، وفضل المصلي والمسلم عليه، فعندئذ يعرف عظم ذنب من يذمه أو يؤذيه باستحقاقه اللعنة التي هي أشد المحذورات؛ لأن البعد من الله لا يرجى معه خير(١٢٣)، ولهذا قال الله تعالى محذرا ومنبها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ ﴾ بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال

أو الأفعال، أبعدهم الله وطردهم من كل خير في الدنيا والآخرة، وأعد لهم في الآخرة عذابًا يذلهم ويهينهم فيه بالخلود فيه، فإيذاء النبي ﷺ من أكبر الكبائر التي تستوجب الطرد من رحمة الله تعالى، ولم يتعرض أحد في التاريخ للأذى كرسول الله ﷺ، وما نراه اليوم من التطاول على مقام النبي ﷺ ومكانته سواء بالرسوم الساخرة التي رسمها بعض المغرضين في الدنمارك أم بغيرها من الأساليب، فإنه دليل على ما نقوله، وبذلك نعلم حكمة إظهار مقامه الحقيقي عند الله تعالى، وإثم من اعتدى عليه، وبشاعة عمله، ويصور هذا التعبير ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ « الحساسية بإيذاء الرسول ﷺ وكأنما هو إيذاء لذات الله جل وعلا، فما أبشع وما أشنع »(١٢٤) هذا العمل.

ولما ذكر الله تعالى المنافقين والكفار الذين آذوا رسول الله ﷺ والمؤمنين بأنواع عديدة من الأذى وتوعدهم بأصناف من العذاب منها تسليط النبي عليهم بالقتل أو النفي من المدينة المنورة، لما ذكر الله تعالى ذلك؛ حذر المؤمنين من التعرض لإيذاء النبي ﷺ، ونهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في أذيتهم سيدنا موسى عليه السلام حتى لا ينالهم ما نال المنافقين والكفار من العذاب.

ويقول النسفي: « وهذه الآية مقررة للتى قبلها: بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله ﷺ، وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر مع إتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، وإتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه »(١٢٥).

فابتدأ الله تعالى بنداء المؤمنين تنبيهاً على أهمية وخطورة ما سيأتي بعد النداء فقال: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تؤذوا رسول الله ﷺ بقول أو فعل، ونداء المؤمنين فيه تعريض بمن لا يؤمن بالرسول من المنافقين لأنه يصدر منه إيذاء الرسول ﷺ قولا وفعلا مثل الأذى الذي عمله المنافقون حول زواج النبي ﷺ بزينب، أو الأذى الذي تعرض له النبي أثناء قسمة الغنائم وغيرها، ونهى الله تعالى المؤمنين عن أن يكونوا أمثال بني إسرائيل الذين آذوا نبي الله موسى باتهامه بأنواع من الأذى(١٢٦)، فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور، وكان عند الله عظيم القدر والجاه. فنفر الله المؤمنين أن يكونوا كهؤلاء المنحرفين الملتوين الذين يضربهم القرآن مثلا صارخا للالتواء(١٢٧).

وتدل هذه الآية على وجوب توقير النبي ﷺ والابتعاد عن إيذائه، وقد التزم أصحاب النبي بذلك أشد التزام، وقد حصل للنبي إيذاء من بعض المنافقين أو الغافلين فعن عَبْدَ اللهِ رضي الله عنه قال: قَسَمَ النبي ﷺ قَسْمًا فقال رَجُلٌ: إِن هذه لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بها وَجْهُ اللهِ، فَأَتَيْتُ النبي ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حتى رأيت الْغَضَبَ في وَجْهِهِ، ثُم قال: « يَرْحَمُ اللهَ مُوسَى قد أُوذِيَ بِأَكْثَرَ من هذا فَصَبَرَ »(١٢٨).

ولما كانت السورة في بيان فضل النبي ﷺ وبيان مقامه العظيم، ناسب أن يؤكد على المؤمنين كيف يعظمونه بالابتعاد عن إيذائه، وبأن يقولوا في حقه ما يناسب مقامه الجليل، وأن يعلموا أن جزاء طاعة النبي ﷺ هو الفوز العظيم بجنات عرضها السموات والأرض.

الخاتمة :

ركز هذا البحث بقسميه على إظهار مكانة النبي ﷺ عند الله تعالى وعند المؤمنين، وذلك من خلال دراسة ما ورد في سورة الأحزاب من أمور متعلقة بمكانته ﷺ وبخصائصه. وإن من أهم ثمرات هذا البحث ونتائجه أنه أوضح ما يترتب على مكانة النبي ﷺ وقدره عند الله تعالى من أمور أهمها:

١ - أن الله تعالى صدر السورة بمناداة سيدنا محمد ﷺ بالنبوة تشريفا له، وقدم ذكره على سائر الأنبياء عليهم السلام عند الكلام عن أخذ الميثاق منهم، وجعله خاتما للنبيين وأفضلهم، وخصه بخصائص عديدة.

٢ - أن الله تعالى جعل النبي أولى ﷺ بالمؤمنين من أنفسهم، فأوجب عليهم طاعته، وحرم عليهم معصيته.

٣ - أن في وصف النبي ﷺ بالسراج المنير دلالة على أنه كالشمس التي يستضاء بها في الظلمات، فمن اتبع النور الذي أنزل معه اهتدى، ومن أعرض عنه ضل، ولهذا جعله الله تعالى الأسوة الحسنة التي يجب اتباعها على كل مؤمن بالله واليوم الآخر.

٤ - عظم الله تعالى هذا النبي فصلى عليه بنفسه مع ملائكته وأمر المؤمنين بذلك، ومن عظمه وعرف قدره نال الأجر العظيم، وهو ﷺ حبيب الحق وخير الخلق وسيد ولد آدم، وهذا الأمر يوجب علينا حبه واتباعه لنكون معه يوم الدين فالمرء مع من أحب، ولتصلح دنيانا وتتنور بالأنوار التي أتى بها النور من الله نور السموات والأرض، وإذا كان للنبي ﷺ هذه المنزلة العظيمة عند الله تعالى فواجب على كل مؤمن به أن يعرف الناس الآخرين بهذا النبي الكريم، وخلقه العظيم، وشريعته السمحة.

5 - لما كان للنبي ﷺ هذا القدر العظيم عند الله تعالى خالق السموات والأرض، فقد جعل إيذاءه كإيذاء الله تعالى، وجعل من يؤذونه مطرودين من رحمته سبحانه في الدنيا والآخرة، فكل من آذى هذا النبي الطاهر أو آذى آل بيته الكرام فقد آذى الله، ومن آذى الله فقد خرج من الملة واستحق غضبه سبحانه.

٦ - يلاحظ من هذه السورة الكريمة أن محورها هو محمد رسول الله ويدور حوله صنفان من الناس: مؤمن وكافر، ففصلت السورة أحواله ﷺ مع المؤمنين عامة وخاصة مع أهل بيته، ومع غير المؤمنين من الكفار واليهود والمنافقين. وبينت السورة جزاء كل صنف من هؤلاء الناس، فالصنف الأول له الجنة والفضل الكبير من الله، والثاني له العذاب الأليم في النار.

٧ - كل من اتصل بهذا النبي الكريم ﷺ بنسب أو بسبب يتشرف ويعلي من قدر نفسه، فأزواجه لما اتصلن به كن أمهات للمؤمنين وخير نساء العالمين في المقام والأجر المضاعف، ونسله المبارك طهره الله تعالى من كل رجس، والمؤمنون به لما اتصلوا به بشرف الإيمان جعل الله جزاءهم جنات عرضها السموات والأرض.

٨ - إن التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه حقا له نتائج عظيمة، ومن أهمها توفيق الله تعالى للمؤمن، وقد تجلى هذا في توفيق الله تعالى لرسوله ﷺ المتوكل على الله حق التوكل، وفي توفيق الله للمؤمنين معه الذين ابتلوا فصبروا وتوكلوا على الله تعالى فكان توفيق الله حليفهم في غزوة الأحزاب، فنصرهم بجنود لم يروها وأيدهم بالريح، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.

٩ - تذكرنا سورة الأحزاب بأن على الإنسان أن يحاسب نفسه**(١٢٩)**، وأن يذكر الله كثيرا، وقد فصلت سورة الأحزاب الطريق العملي للتقوى وبينت ما يتناقض معه، فبدأت بأمر النبي ﷺ بالتقوى وختمت بأمر المؤمنين بذلك، واختتمت السورة بصفتي المغفرة والرحمة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣] ، ليعلم أن الله تعالى سبقت رحمته غضبه فيطمع المؤمن بذلك ويستدرك العاصي، فاللهم رحمتك ومغفرتك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

هوامش البحث :

(١) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين، ج: ١، ص: ٩٧٩.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج: ٤، ص: ٤٠٠، وانظر صحيح ابن حبان، ج:١٠، ص: ٢٧٤، وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه عبد الرزاق في المصنف والطيالسي وسعيد بن منصور وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن منيع والنسائي وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والدار قطني في الأفراد والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة عن زر، انظر السيوطي، الدر المنثور، ج: ٦، ص: ٥٥٨.

(٣) منيرة محمد ناصر الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، ص: ٣١٧-٣١٨.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: ٢١، ص: ٢٤٩.

(٥) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج: ٢٢، ص: ١٦٥.

(٦) تفسير المهايمي، ج: ٢، ص:١٥٢، عن المرجع السابق ص: ٣١٨ الحاشية رقم ١.

(٧) قارن بعبد الحميد طهماز، من موضوعات سور القرآن الكريم: في سورة السجدة وسورة الأحزاب وسورة سبأ وسورة فاطر، ص: ٥٥، وصالح أحمد رضا، بصائر وعبر من سيرة خير البشر، ص: ٢٧٣-٢٧٤.

(٨) العاقب هو الخاتم الذي ليس بعده نبي. قارن بالبخاري، صحيح البخاري، ج: ٤، ص: ١٨٥٨، رقم الحديث: ٤٦١٤، ومسلم، صحيح مسلم، ج: ٤، ص: ١٨٢٨، رقم الحديث: ٢٣٥٤.

(٩) البيهقي، شعب الإيمان، ج: ٢، ص:١٤١، رقم الحديث: ١٣٩٨.

(١٠) انظر مسلم، صحيح مسلم، ج: ٤، ص: ١٨٢٨، رقم الحديث: ٢٣٥٤، والبخاري، صحيح البخاري، ج: ٤، ص: ١٨٥٨، رقم الحديث: ٤٦١٤، والبيهقي، شعب الإيمان، ج: ٢، ص: ١٤٢، رقم الحديث: ١٤٠٠.

(١١) ذكر الماوردي ثلاثة أقاويل في التفريق بين النبي والرسول، وذكر الآلوسي بعض الفوارق بينهما ومنها: أنه يغلب نسبة الرسالة إلى الله تعالى فيقال: (رسول الله)، ولم يرد في القرآن (نبي الله) مع أنه ورد في الحديث : (ونبيك الذي أرسلت)، وذلك لأن « النبوة يغلب عليها الإضافة إلى النبي فيقال: نبوة النبي لأنه يستحق منها الصفة التي هي على طريقة الفاعل، والرسالة تضاف إلى الله لأنه المرسل بها ولهذا قال: (برسالاتي) ولم يقل: بنبوتي ». قارن بالماوردي، النكت والعيون، ج:٤، ص: ٣٥، والآلوسي، روح المعاني، ج:٩ ، ص: ٧٩، والعسكري، الفرق، ج:١، ص: ٣١٨-٣١٩.

(١٢) مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، تحقيق عبد الرحمن عميرة، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٨/١٤١٩)، ط٢، ج: ٥، ص: ٥-٦.

(١٣) عبد الحميد طهماز، من موضوعات سور القرآن الكريم: في سورة السجدة وسورة الأحزاب وسورة سبأ وسورة فاطر، ص: ٣٥-٣٦.

(١٤) الزمخشري، الكشاف، ج: ٣، ص: ٥٢٧.

(١٥) إلرازي، التفسير الكبير، ج: ٢٥، ص: ١٦٤.

(١٦) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ج: ٤، ص: ٤٠٢.

(١٧) لم ألتزم هنا بالترتيب التسلسلي لذكر الوصف في الآية وذلك لملاصقة ختم النبوة بما سبقها من وصفه بالرسول والنبي.

(١٨) الطبري، جامع البيان، ج: ٢٢، ص: ١٦.

(١٩) الآلوسي، روح المعاني، ج: ٢٢، ص: ٤٢.

(٢٠) البخاري، صحيح البخاري، ج: ٣، ص:١٣٠٠، رقم الحديث: ٣٣٤٢، ومسلم، صحيح مسلم، ج:٤، ص: ١٧٩١، رقم الحديث: ٢٢٨٧.

(٢١) أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج: ٦ ، ص: ٨٧، رقم الحديث:٢٣١٣، وأحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ط٢، ج: ١٥، ص: ١٩٤-١٩٥، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط معلقا: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، وانظر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج : ٢ ، ص: ٤٣٣، رقم الحديث: ٤٠٦٣، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج: ١١، ص: ٣٧٧، رقم الحديث: ٦٤٩١.

(٢٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:١٤ ، ص: ١٩٧.

(٢٣) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، ج: ٤٢، ص: ١٨٣، رقم الحديث: ٢٥٣٠٢، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط معلقا: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وانظر كذلك الطبراني، المعجم الأوسط، ج: ١، ص: ٣٠، رقم الحديث: ٧٢.

(٢٤) مسلم، صحيح مسلم، ج: ٢، ص: ٧٨١، رقم الحديث : ١١٠٨.

(٢٥) الزمخشري، الكشاف، ج: ٣، ص٥٢٧.

(٢٦) ذكر الرازي دلالات أخرى لأمر الله تعالى نبيه بالتقوى فانظر الرازي، التفسير الكبير، ج: ٢٥، ص: ١٦٥، وقارن كذلك بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، ج: ٧، ص: ٢٠٦.

(٢٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج:٥ ، ص:٢٨٢٢.

(٢٨) عبد الحميد طهماز، من موضوعات سور القرآن الكريم: في سورة السجدة وسورة الأحزاب وسورة سبأ وسورة فاطر، ص: ٤٤.

(٢٩) الشوكاني، فتح القدير، ج: ٤ ، ص: ٢٨٨.

(٣٠) بتصرف من ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: ٤ ص ٣٨٩-٣٩٠، وقارن بالقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٤، ص:٢٠٢.

(٣١) عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، (مكة المكرمة: مكتبة مصطفى نزار الباز، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج:٩، ص: ٣١٤٠، وقارن بمحمد بن مكرم ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ط١، ج: ٢٤، ص: ٣٧٣.

(٣٢) الآلوسي، روح المعاني، ج: ٢٢، ص: ٤٥-٤٦.

(٣٣) ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم، ج:٩، ص: ٣١٤٠، وقارن بابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج: ٢٤، ص: ٣٧٣.

(٣٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج:١٠، ص: ٥٥٩، ٥٦١، رقم الحديث: ٤٨٣٨.

(٣٥) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، ج: ١٤، ص: ٢٥٨، رقم الحديث: ٨٦٠٤، قال المحقق شعيب الأرنؤوط معلقا: حديث حسن.

(٣٦) المرجع السابق نفسه، ج:٢ ، ص:٤٤٢، رقم الحديث: ٩٧٠٨، وابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج: ١، ص: ٢٢، رقم الحديث: ٥٨.

(٣٧) أخرجه الشيخان، فانظر البخاري، صحيح البخاري، ج: ٥، ص: ١٣٠٦، رقم: ٣٣٦٩، ومسلم، صحيح مسلم ج: ٤، ص: ١٨٠٩، رقم الحديث: ٢٣٢٠.

(٣٨) البخاري، صحيح البخاري، ج:٥، ص: ٢٣٧٩، رقم الحديث: ٦١١٨، ومسلم، صحيح مسلم ، ج:٤، ص: ١٧٨٩، رقم الحديث: ٢٢٨٤.

(٣٩) البخاري، صحيح البخاري، ج:٢ ، ص:٨٤٥ ، رقم الحديث: ٢٢٦٩.

(٤٠) أبو داود، سنن أبي داود، ج: ١، ص: ٣، رقم الحديث:٨، وإسناد الحديث قوي انظر تعليق شعيب الأرنؤوط على هذا الحديث في : أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، ج: ١٢، ص: ٣٢٦، رقم الحديث: ٧٣٦٨.

(٤١) البخاري، صحيح البخاري، ج:١ ، ص:١٤ ، رقم الحديث: ١٤.

(٤٢) انظر الهيثمي، مجمع الزوائد، ج:٧، ص:٩١-٩٢، وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح، وقارن بالطبراني، المعجم الكبير، ج: ٢٤، ص:٤٥، رقم الحديث: ١٢٤.

(٤٣) البخاري، صحيح البخاري، ج:٦ ، ص: ٢٧٠٠، رقم الحديث: ٦٩٨٥.

(٤٤) قارن بالطبري، جامع البيان، ج: ٢٢، ص: ١٥، والتفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص: ٧٧١.

(٤٥) البخاري، صحيح البخاري، ج:٦ ، ص: ٢٦٩٩، رقم الحديث: ٦٩٨٤.

(٤٦) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،ج: ٨، ص: ٥٢٣-٥٢٤، وقارن رواية أنس في البخاري، صحيح البخاري، ج: ٦، ص:٢٦٩٩ ، رقم الحديث: ٦٩٨٤ .

(٤٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،ج: ٨، ص: ٥٢٣-٥٢٤.

(٤٨) المرجع السابق نفسه.

(٤٩) القرطبي، الجامع لأحكام االقرآن، ج:١٤ ، ص: ١٩١.

(٥٠) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،ج: ٨، ص: ٥٢٣-٥٢٤.

(٥١) السمرقندي، تفسير بحر العلوم، ج:٣ ، ص:٤٢ .

(٥٢) النورسي، المقالات، ص: ٣٤٦.

(٥٣) الطبري، جامع البيان، ج: ٣، ص: ٣٣٢.

(٥٤) الآلوسي، روح المعاني: ج:٣ ، ص: ٢١٠.

(٥٥) أصل الكلمة مستخدم بمعنى بنو الرجل الواحد من أمهات شتى، سميت بذلك لأن الذي تزوجها على أولى قد كانت قبلها ثم عل من هذه، قال ابن بري: وإنما سميت علة لأنها تعل بعد صاحبتها ، من العلل. ويقال : هما أخوان من علة . وهما ابنا علة : أماهما شتى والأب واحد ، وهم بنو العلات ، وهم من علات، وهم إخوة من علة و علات، كل هذا من كلامهم . والمقصود في الحديث أن الأنبياء إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. قارن بالمبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر، ج:٣، ص: ٢٩١، وابن منظور، لسان العرب، ج: ١١، ص: ٤٧٠ .

(٥٦) البخاري، صحيح البخاري، ج: ٣، ص: ١٢٧٠ ، رقم الحديث: ٣٢٥٩، ومسلم، صحيح مسلم، ج:٤ ، ص: ١٨٣٧، رقم الحديث:٢٣٦٥.

(٥٧) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ١٥٥، وقارن بابن منظور ، لسان العرب، ج: ٧، ص: ٢٤، والفيروزأبادي، القاموس المحيط، ج: ١، ص: ٧٩٦.

(٥٨) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين، ج: ١، ص: ٩٧٩.

(٥٩) ابن الملقن عمر بن علي الأنصاري، غاية السول في خصائص الرسول، ص: ١٠-١١.

(٦٠) المرجع السابق نفسه، ص: ١٢-١٥، وقارن بمحمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المصنفة، ج: ١، ص: ٢٠٢-٢٠٣.

(٦١) الطبري، جامع البيان، ج:٢١، ص: ١٤٣، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص: ١٥٥، وقارن ببرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، ج:٦، ص: ٩٠.

(٦٢) سيد قطب، في ظلال القرآن،ج: ٥، ص: ٢٨٤١.
(٦٣) المرجع السابق نفسه.

(٦٤) أي لكل منا حجر واحد ورفع عنه، فالتكرير باعتبار تعداد المخبر عنهم بذلك، « قال الطيبي عن الأولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف، والثانية صفة مصدر محذوف، أي كشفنا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر، ويجوز أن يحمل التنكير في حجر على نوع أي عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلا، وعادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد على بطنه حجرا ليتقوم به صلبه ». محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج:٢، ص: ٧٧.

(٦٥) أخرجه أبو عيسى الترمذي وقال فيه: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، الترمذي، سنن الترمذي، ج: ٤، ص: ٥٨٥، رقم الحديث: ٢٣٧١.

(٦٦) البخاري، صحيح البخاري، ج: ٦، ص: ٢٥٣٩، رقم الحديث: ٦٥٣٠، ومسلم، صحيح مسلم، ج: ٥، ص: ١٤١٧، رقم الحديث: ١٧٩٢.

(٦٧) عن جَابِرٍ قال: « لَما حَفَرَ النبي ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْخَنْدَقَ أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ حتى رَبَطَ النبي ﷺ على بَطْنِهِ حَجَراً مِنَ الْجُوعِ » ، أخرجه أحمد، في مسند أحمد ج:٣ ، ص: ٣٠١.، وقارن بالبخاري، ج: ٤، ص: ١٥٠٥، رقم ٣٨٧٥، و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص: ١٥٥-١٥٦.

(٦٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: ٣ ص٤٧٥.
(٦٩) الزمخشري، الكشاف، ج: ٣، ص: ٥٣٩.
(٧٠) البغوي، تفسير البغوي، ج ٣ ص ٥١٩.

(٧١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، ج: ١، ص: ٤٨٦، رقم الحديث: ٤٣٠، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط معلقا: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير معبد الجهني.

(٧٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: ٤، ص: ٣٧٧.
(٧٣) محمد فريد وجدي ، المصحف المفسر، ص٥٥٢ .
(٧٤) الطبري، جامع البيان، ج: ٢١، ص: ١٤٤.
(٧٥) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: ٤، ص: ٣٧٧.
(٧٦) البقاعي، نظم الدرر، ج: ٦، ص: ٩٢.
(٧٧) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج:٩ ، ص: ٤٨٤، رقم الحديث: ٤١٧٧.

(٧٨) قارن بمسلم، صحيح مسلم، ج:٢، ص: ١١٠٤، رقم الحديث: ١٤٧٨، وج: ٤، ص: ١٧٧٩، رقم الحديث: ٢٧١١، وأحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ج: ٢٢، ص: ٣٩١-٣٩٢، رقم الحديث: ١٤٥١٥، وأخرجه أحمد بلفظ: إن الله لم يبعثني معنفا، ولكن بعثني معلما ميسرا)، وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج: ٦، ص: ٣٧٦.

(٧٩) انظر القصة بتفاصيلها في كل من صحيح البخاري، ج: ٢، ص: ٨٧١-٨٧٣، رقم الحديث: ٢٣٣٦. وصحيح مسلم، ج: ٢، ص: ١٢٠٣، رقم الحديث: ١٧٤٥.

(٨٠) ذكر في سبب تخييره إياهن ثلاثة أقوال: « أحدها: أنهن سألنه زيادة النفقة، والثاني: أنهن آذينه بالغيرة والقولان مشهوران في التفسير، والثالث: أنه لما خير بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة أمر بتخيير نسائه ليكن على مثل حاله حكاه أبو القاسم الصيمري ». انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج: ٦، ص: ٣٧٧.

(٨١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج:٣ ص: ٤٨١، و التفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص: ٧٦٧-٧٦٨.

(٨٢) وهبة الزحيلي ، التفسير المنير ، ج: ٢١ ، ص: ٢٩٤ .

(٨٣) الرازي، التفسير الكبير، ج: ٢٥، ص: ١٧٩، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: ٣، ص: ٤٨٣.

(٨٤) البقاعي، نظم الدرر، ج: ٦، ص: ١٠٠.

(٨٥) المرجع السابق نفسه.

(٨٦) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج: ٢١، ص: ٧.

(٨٧) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص:٧٦٨- ٧٦٩.

(٨٨) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن هذه الآية نزلت في نساء النبي خاصة، وقال عكرمة رضي الله عنه: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ. محمد بن مكرم ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ط١، ج: ٣، ص: ١٧٧، وانظر الرازي، التفسير الكبير، ج: ٦، ص: ٦٠٣.

(٨٩) أخرج مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أذكركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد رضي الله عنه: ومن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. مسلم، صحيح مسلم، ج: ٤، ص: ١٨٧٣، رقم الحديث: ٢٤٠٨، وقارن بالرازي، التفسير الكبير، ج: ٦، ص: ٦٠٥.

(٩٠) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج:٢ ، ص:٤٥١ ، رقم الحديث: ٣٥٥٩ ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٩١) البقاعي، نظم الدرر، ج: ٦، ص: ١١٨-١١٩.

(٩٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ٢٢، ص: ٦٣.

(٩٣) الطبري، جامع البيان، ج: ٢٢، ص:٢٣، وقارن بالسيوطي، الدر المنثور، ج: ٦، ص: ٦٢٩، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج: ٨، ص: ١٥٤.

(٩٤) الطبري، جامع البيان، ج: ٢٢، ص:٢١-٢٢ .

(٩٥) المرجع السابق نفسه، ج: ٢٢، ص:٢٥-٢٦.

(٩٦) الحاكم، المستدرك، ج: ٢، ص: ٢٠٤، رقم الحديث: ٢٧٦٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٩٧) التفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص: ٧٧٢-٧٧٣.

(٩٨) الزحيلي، التفسير المنير، ج: ٢٢ ، ص:٧٥-٧٧.

(٩٩) ذكر ابن حجر الخلاف بين الصحابة في تفسير هذه الآية، فأبي بن كعب ومن أيده قالوا إن المنفي هو الأوصاف المذكورة في الآية فكان يحل للنبي ﷺ صنف دون صنف، وقال آخرون كابن عباس إن المنفي هو النساء الموجودات عند التخيير، ثم قال ابن حجر: الواقع أنه ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة لكن ذلك لا يرفع الخلاف. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج:٩، ص: ٤٨٢. انظر الطبري، جامع البيان عن تاويل آي القرآن، ج:٢٢، ص: ٢٨، وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج: ٦، ص: ٦٣٧.

(١٠٠) الشوكاني، فتح القدير، ج: ٤، ص: ٢٩٣.

(١٠١) الحاكم، المستدرك، ج: ٢، ص: ٢٠٤، رقم الحديث: ٢٧٦١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وانظر أبو داود، سنن أبي داود، ج: ٢، ص: ٢٤٢، رقم الحديث: ٢٣١٤، والترمذي، سنن الترمذي، ج:٣، ص: ٤٤٧، رقم الحديث: ١١٤٠.

(١٠٢) البخاري، صحيح البخاري، ج: ٤، ص: ١٧٩٩، رقم الحديث: ٤٥١٥.

(١٠٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج: ١٤، ص: ٢٢٦.

(١٠٤) التفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص: ٧٧٤.

(١٠٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:٣ ، ٥٠٧.

(١٠٦) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٣٨٤.

(١٠٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٤، ص: ٢٣٠.

(١٠٨) الطبري، جامع البيان، ج: ٢٢، ص:٤٣ ، وقارن بالقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٤، ص: ٢٣١، والتفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص: ٧٧٤-٧٧٥، ومحمد محمود حجازي، التفسير الواضح، ص: ١١٢.

(١٠٩) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج: ٢٢، ص: ١٦٥.

(١١٠) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج:٤ ، ص:٨٩٧ .

(١١١) صالح رضا، هذا محمد رسول الله، ص: ٥٥، ٧٥، يقول البيهقي: روينا سجود النبي ﷺ للشكر حين بشره جبريل عليه السلام أن من سلم عليه سلم الله عليه، ومن صلى عليه صلى الله عليه في حديث عبد الرحمن بن عوف). البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج: ٢، ص: ٢٠٠، رقم الحديث: ١١٧٣.

(١١٢) ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: ٤، ص: ٣٩٧ -٣٩٨ .

(١١٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:٣ ، ص: ٥٠٩.

(١١٤) البخاري، صحيح البخاري، ج: ٤، ص: ١٨٠٢، رقم الحديث: ٤٥١٩.

(١١٥) مسلم، صحيح مسلم، ج: ١، ص:٣٠٦ ، رقم الحديث: ٤٠٨.

(١١٦) علي بن أبي بكر الهيثمي، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج:١ ، ص:٥٩٤ ، رقم الحديث: ٢٣٩٠ .

(١١٧) أبو داود، سنن أبي داود، ج: ٢، ص: ٨٨، رقم الحديث: ١٥٣١، وأحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، ج: ٢٦، ص: ٨٤، رقم الحديث: ١٦١٦٢، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط معلقا: إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح..

(١١٨) ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ص: ٦١٢-٦١٣.

(١١٩) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج:٩، ص: ٤٩٢، رقم الحديث: ٤٧٨٩، وابن كثير، تفسير القران العظيم، ج: ٣، ص: ٥١٧.

(١٢٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: ٣، ص: ٥١٨.

(١٢١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج:٩، ص: ٤٩٢، رقم الحديث: ٤٧٨٩.

(١٢٢) القاضي أبو الفضل عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ، ج: ٢، ص: ٤، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: ٣، ص: ٥١٧، وقارن بالسخاوي، القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع، ص: ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٤٧.

(١٢٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج: ٢٥، ص: ١٩٧.

(١٢٤) بتصرف من سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: ٥، ص: ٢٨٧٩.

(١٢٥) النسفي، مدارك التنزيل، ج: ٢، ص: ٣٥٨.

(١٢٦) انظر البخاري، صحيح البخاري، ج: ٣، ص: ١٢٤٩، رقم الحديث: ٣٢٢٣.

(١٢٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: ٥، ص:٢٨٨٣- ٢٨٨٤.

(١٢٨) البخاري، صحيح البخاري، ج:٣ ، ص:١٢٤٩ ، رقم الحديث: ٣٢٢٤ .

(١٢٩) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج: ٨، ص:٤٤٩٥ .

قائمة المصادر والمراجع

١ - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي،- ١٤٠٤)، ط٣.

٢ - ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد الرازي ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، (مكة المكرمة: مكتبة مصطفى نزار الباز، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧م).

٣ - ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي أبو الفضل:

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٤ - ابن حنبل، أحمد أبو عبدالله الشيباني:

- مسند الإمام أحمد، (مصر: مؤسسة قرطبة، د.ت).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ط٢.

٥ - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، د.ت).

٦ - ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧)، ط١.

٧ - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ط١.

٨ - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ)، ط٣.

٩ - ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم،(بيروت: دار الفكر،١٤٠١).

١٠ - ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

١١ - ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري، غاية السول في خصائص الرسول، تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠١/١٤٢٢)، ط٢.

١٢ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ط١.

١٣ - ابن منظور، محمد بن مكرم ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ط١.

١٤ - أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م)، ط١.

١٥ - أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الفكر).

١٦ - أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد ، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤ / ١٩٨٤)، ط١.

١٧ - الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

١٨ - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧ /١٩٨٧)، ط٣.

١٩ - البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ / ١٩٩٣)، ط٢.

٢٠ - البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ط١.

٢١ - البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (بيروت: دار الفكر، د. ت).

٢٢ - البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، سنن البيهقي الكبرى، السنن والآثار، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٢٣ - البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، معرفة السنن والآثار، تحقيق سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٢٤ - الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، لات).

٢٥ - التفتازاني، مسعود بن عمر سعد الدين، شرح المقاصد، تحقيق عبد الرحمن عميرة، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩/١٩٩٨)، ط٢.

٢٦ - الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (القاهرة، ١٩٩٢).

٢٧ - الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ- /١٩٧٩م).

٢٨ - حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣)، ط ١٠.

٢٩ - الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين،(بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٠).

٣٠ - حوى، سعيد، الأساس في التفسير، (دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة: ١٩٨٩).

٣١ - الدوسري، منيرة محمد ناصر، أسماء سور القرآن وفضائلها، (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦)، ط١.

٣٢ - الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢١هـ- / ٢٠٠٠م)، **ط١**.

٣٣ - رضا، صالح أحمد، بصائر وعبر من سيرة خير البشر، (الشارقة: جامعة الشارقة، ٢٠٠٦).

٣٤ - رضا، صالح أحمد، هذا محمد رسول الله، (بيروت: الأفق للطباعة والنشر،٢٠٠٦/١٤٢٧)، ط١.

٣٥ - الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١).

٣٦ - الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٣٧ - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق ابن عثيمين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٣٨ - السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث تفسير السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي، (بيروت: دار الفكر).

٣٩ - السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣).

٤٠ - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ- / ١٩٩٥م).

٤١ - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

٤٢ - الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣)، ط٢ .

٤٣ - الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله ابن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ هـ).

٤٤ - الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة الزهراء، - ١٤٠٤ /١٩٨٣)، ط٢.

٤٥ - الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار الحياة).

٤٦ - الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ).

٤٧ - طهماز، عبد الحميد، من موضوعات سور القرآن الكريم: في سورة السجدة وسورة الأحزاب وسورة سبأ وسورة فاطر، (دمشق: دار القلم، ١٤١٧/١٩٩٦).

٤٨ - عياض، أبو الفضل، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق عبد السلام محمد أمين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢)، ط٢.

٤٩ - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الشعب، د.ت).

٥٠ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨).

٥١ - الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، تحقيق محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني ، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٦ / ١٩٨٦)، ط٤.

٥٢ - المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٥٣ - المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم، تبصير الرحمن وتيسير المنان، (القاهرة: عالم الكتب).

٥٤ - نخبة من العلماء، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ١٤١٩).

٥٥ - النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١١ / ١٩٩١)، ط١.

٥٦ - النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥/١٩٩٥).

٥٧ - النورسي، سعيد، المقالات، ترجمة الملا محمد زاهد الملازكردي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦/١٩٨٥)، ط١.

٥٨ - النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ /١٩٩٠م)، ط١.

٥٩ - النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٦٠ - الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ط١.

٦١ - الهيثمي، علي بن أبي بكر أبو الحسن، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٦٢ - الهيثمي، علي بن أبي بكر أبو الحسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧).

٦٣ - وجدي ، محمد فريد، المصحف المفسر ، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

* * *

The Status of the Prophet Muhammad (PBUH) and His Character Attributes in Surat al-Ahzab

Dr. Abdallah El-Khatib

College of Sharia and Islamic Studies
University of Sharjah
Sharjah U.A.E

ABSTRACT

This article focuses on the status of the Prophet (PBUH) and his character attributes as conveyed through Surat al Ahzab. The core of this sura deals with the Prophet's (PBUH) honor, integrity and righteousness towards his household and wives, and many more noble characteristics. This article is divided into two sections, the first of which is divided into five parts and deals with various aspects related to the Prophet's (PBUH) high status. The second section discusses the Prophet's (PBUH) special characteristics as mentioned in this sura and contains six discussions followed by a conclusion. The aim of this article is to recognize and affirm the high status of the Prophet (PBUH) that Allah, the Creator, bestowed upon him in relation to the angels and believers from among both mankind and the jinn. The researcher endeavors to make evident the Prophet's (PBUH) noble characteristics at a time when the He has been subjected to a propaganda campaign launched by enemies of Islam in the West. He was portrayed, for example, in Europe as an insulting caricature, this with the intent of distorting His true image and destroying his status and character.